مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، نبينا محمد ومن والاه أما بعد :

فهذه هي المجموعة الأولى من هذا الكتاب ، وهو عبارة عن نقولٍ منتقاة من بعض الكتب.

وقد يسر الله جمعها من خلال بعض القراءة المتنوعة؛ حيث كنت أدوِّن بعض ما يمر بي أثناء القراءة ، سواء في أوراق خاصة ، أو على أغلفة الكتب المقروءة؛ فأدوِّن ما أستحسنه من حكمة بالغة ، أو موعظة حسنة ، أو نظرة ثاقبة ، أو فكرة سامية ، أو تجربة ناضجة ، أو عبارة رائعة رائقة ، أو تحرير عالٍ ، أو أسلوب بارع ، أو معنى لطيف ، أو نحو ذلك وما جرى مجراه مما يبهج النفس ، ويوسع المدارك ، ويرقى بالهمة ، ويزيد في الإيمان ، ويدعو إلى لزوم الفضيلة.

وهذه النقولات تركتها على سجيتها؛ حيث لم أحرص على ملئها بالحواشِي والزيادات ، ولم أترجم لجميع المؤلفين ، كما أن بعض النقولات لم تذكر فيها أرقام الصفحات؛ لأنه لم يخطر في البال أثناء تدوينها أنها ستنشر.

هذا وقد جاء ذلك الكتاب حاملاً المسمى التالي :

«المنتقى من بطون الكتب»

أما الكتب التي تضمنها الانتقاء في هذه المجموعة فهي كما يلي :

١ـ الأدب الصغير والأدب الكبير لابن المقفع.

٢ـ صيد الخاطر لابن الجوزي.

٣ـ الأخلاق والسير في مداواة النفوس لابن حزم.

٤ـ العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية.

٥ـ الاستقامة لابن تيمية.

٦ـ جامع الرسائل لابن تيمية.

٧ـ الفوائد لابن القيم.

٨ـ إغاثة اللهفان لابن القيم.

٩ـ الحرية في الإسلام للشيخ محمد الخضر حسين.

١٠ـ نقض كتاب في الشعر الجاهلي لمحمد الخضر حسين.

١١ـ هدى ونور لمحمد الخضر حسين.

١٢ـ أليس الصبح بقريب للشيخ محمد الطاهر بن عاشور.

١٣ـ وحي القلم لمصطفى صادق الرافعي.

١٤ـ آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي.

١٥ـ مواعظ الإمام عمر بن عبد العزيز.

١٦ـ مواعظ الإمام مالك بن دينار.

١٧ـ مواعظ الإمام أبي حازم سلمة بن دينار.

١٨ـ مواعظ الإمام سفيان الثوري.

١٩ـ مواعظ الإمام إبراهيم بن أدهم.

٢٠ـ مواعظ الإمام عبد الله بن المبارك.

٢١_ مواعظ الإمام الفضيل بن عياض.

وهذه الكتب الأخيرة للشيخ صالح الشامي.

٢٢_ طاقتك الكامنة لسمير شيخاني.

٢٣_ قوة الاعتزاز بالنفس ساموئيل أ. سيبرت.

فإلى تلك النقول، والله المستعان، وعليه التكلان، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

محمد بن إبراهيم الحمد
١٤٢٤/٧/١٩هـ
الزلفي ١١٩٣٢
ص ب: ٤٦٠

أولاً: نقولات مختارة من كتاب:

الأدب الصغير والأدب الكبير لعبدالله بن المقفع ١٠٦ـ ١٤٢هـ

شرح ودراسة د. مفيد قميحة.

«تعريف موجز بالكتاب»:

الأدب الصغير والأدب الكبير رسالتان غايتاهما الإصلاح النفسي، والسياسي، والأخلاقي، والاجتماعي؛ فالأدب الكبير تركز حول نقطتين رئيسيتين هما:

السلطان، وما يتبعه من شؤون تتعلق به، والصداقة وما يتعلق بها من روابط ومعاملات.

وأما الأدب الصغير فهو عبارة عن شذرات متفرقة، وخواطر متعددة، مستوحاة من تجارب ماضية، مختزلة في ألفاظ موجزة، منتقاة من حكم الأسلاف ومواعظهم وآرائهم في الحياة.

والمتأمل لها يفيد منها خبرة، ونضجاً، ودَرَبة، وحسن تعامل مع الأحداث.

أ: نقولات من كتاب الأدب الصغير:

١ـ غاية الناس، وحاجتهم صلاح المعاش والمعاد، والسبيل إلى دَرَكِها العقل الصحيح، وأمارة صحة العقل اختيار الأمور بالبصر، وتنفيذ البصر بالعزم. ص٤٣

٢ـ للعقول سجيات وغرائز، بها تقبل الأدب، وبالأدب تنمي العقول، وتزكو. ص ٤٣

٣ـ الواصفون أكثر من العارفين، والعارفون أكثر من الفاعلين؛ فلينظر امرؤ أين يضع نفسه. ص٤٨

٤ـ على العاقل أن يذكر الموت في كل يوم وليلة مراراً، ذكراً يباشر به القلوب، ويقدع الطماح؛ فإن في كثرة ذكر الموت عصمةً من الأشر، وأماناً ـ بإذن الله ـ من الهلع. ٥٣ـ٥٤

٥ـ على العاقل أن يحصي على نفسه مساويها في الدين وفي الأخلاق وفي الآداب؛ فيجمع ذلك كله في صدره، أوفي كتاب، ثم يكثر عرضه على نفسه، ويكلِّفها إصلاحه، ويوظف ذلك عليها توظيفاً من إصلاح الخلَّة والخلتين والخلال في اليوم أو الجمعة أو الشهر.

فكلما أصلح شيئاً محاه، وكلما نظر إلى محو استبشر، وكلما نظر إلى ثابت اكتأب. ٥٤

٦ـ على العاقل أن يؤنس ذوي الألباب بنفسه، ويجرِّئهم عليها؛ حتى يصيروا حرساً على سمعه وبصره، ورأيه؛ فيستنيم إلى ذلك، ويريح له قلبه، ويعلم أنهم لا يغفلون عنه إذا هو غفل عن نفسه. ٥٥

٧ـ على العاقل ـ ما لم يكن مغلوباً على نفسه أن لا يشغله شغل عن أربع ساعات: ساعة يرفع فيها حاجته إلى ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعةٍ يفضي فيها إلى إخوانه وثقاته الذين يصدقونه عند عيوبه وينصحونه في أمره، وساعة يخلي فيها بين نفسه وبين لذتها مما يحل ويجمل؛ فإن هذه الساعة عونٌ على الساعات الأخر، وإن استجمام القلوب وتوديعها زيادة قوة لها، وفضل بلغة. ص٥٦

٨ـ على العاقل أن لا يكون راغباً إلا في إحدى ثلاث: تزودٍ لمعاد، أو مرمَّةٍ

لمعاش، أو لذة في غير محرم. ص٥٦

٩ـ على العاقل أن يجبن عن المضي على الرأي الذي لا يجد عليه موافقاً وإن ظن أنه على اليقين. ص٥٧

١٠ـ الدنيا دول فما كان لك منها أتاك على ضعفك، وما كان عليك لم تدفعه بقوتك. ص٦٠

١١ـ أشد الفاقة عدم العقل، وأشد الوَحْدة وحدة اللجوج، ولا مال أفضل من العقل، ولا أنيس آنس من الاستشارة. ص٦١

١٢ـ كان يقال: إن الله ـ تعالى ـ قد يأمر بالشيء ويبتلي به بثقله، وينهى عن الشيء، ويبتلي به بشهوته؛ فإذا كنت لا تعمل من الخير إلا ما اشتهيته، ولا تترك من الشر إلا ما كرهته ـ فقد أطلعت الشيطان على عورتك، وأمكنته من رُمَّتك[1]؛ فأوشك أن يقتحم عليك فيما تحب من الخير؛ فيكرِّهه إليك، وفيما تكره من الشر فيحببه إليك.

ولكن ينبغي لك في حب ما تحب من الخير التحامل على ما يستثقل منه، وينبغي لك في كراهة ما تكره من الشر التجنب لما يحب منه. ص٦٤

١٣ـ إذا هممت بخير فبادر هواك لا يغلبْك، وإذا هممت بشر فسوِّف هواك؛ لعلك تظفر؛ فإن ما مضى من الأيام والساعات على ذلك هو الغُنم. ص٦٩

١٤ـ العلم زين لصاحبه في الرخاء، ومنجاة له في الشدة، بالأدب تعمر القلوب، وبالعلم تستحكم الأحلام. ٦٩

---

١ ـ الرمة: الحبل الذي يمكن أن يقودك به.

١٥_ حياة الشيطان ترك العلم، وروحه وجسده الجهل، ومعدنه في أهل الحقد والقساوة، ومثواه في أهل الغضب، وعيشه في المصارمة [١]، ورجاؤه في الإصرار على الذنوب. ص ٧٣

١٦_ لا ينبغي للمرء أن يعتد بعلمه ورأيه ما لم يذاكره ذوو الألباب، ولم يجامعوه عليه؛ فإنه لا يستكمل علم الأشياء بالعقل الفرد. ص ٧٣

١٧_ أعدل السِّيَرِ أن تقيس الناس بنفسك؛ فلا تأتي إليهم إلا ما ترضى أن يؤتى إليك. ص ٧٣

١٨_ أنفع العقل أن تحسن المعيشة فيما أوتيت من خير، وألا تكترث من الشر بما لم يصبك. ص ٧٣

١٩_ حقٌّ على العاقل أن يتخذ مرآتين، فينظر من إحداهما في مساوئ نفسه، فيتصاغر بها، ويصلح ما استطاع منها.

وينظر في الأخرى في محاسن الناس، فيحلِّيهم بها، ويأخذ ما استطاع منها. ص ٧٦

٢٠_ لا يوقعنَّك بلاء خلصت منه في آخر لعلك لا تخلُص منه. ص٧٦

٢١_ الورِع لا يَخْدَع، والأريب لا يُخْدَع. ص ٧٦

٢٢_ المروءات تبع للعقل، والرأي تبع للتجربة، والغبطة تبع لحسن الثناء، والسرور تبع للأمن، والقرابة تبع للمودة، والعمل تبع للقَدَر، والجِدَة تبع للإنفاق. ص ٧٨

١_ المصارمة: المنازعة والخصام اللذان يؤديان إلى الشر.

٢٣ـ أصول العقل التثبت، وثمرته السلامة، وأصل الورع القناعة، وثمرته الظفر، وأصل التوفيق العمل، وثمرته النُّجح. ص ٧٨

٢٤ـ لا يُذْكَرُ الفاجر في العقلاء، ولا الكذوب في الأعفَّاء، ولا الخذول في الكرماء، ولا الكفور بشيء من الخير. ص ٧٨

٢٥ـ لا تؤاخينَّ خِبَّاً ـ خداعاً ـ ولا تستنصرن عاجزاً، ولا تستعينن كسلاً. ص ٧٨

٢٦ـ من أعظم ما يروح به المرء نفسه أن لا يجري لما يهوى وليس كائناً، ولا لما لا يهوى وهولا محالة كائن. ص ٧٨

٢٧ـ اغتنم من الخير ما تعجلت، ومن الأهواء ما سوَّفت، ومن النَّصَب ما عاد عليك، ولا تفرح بالبطالة، ولا تجبن عن العمل. ص٧٩

٢٨ـ ذو العقل لا يستخف بأحد؛ فإنه من استخف بالأتقياء أهلك دينه، ومن استخف بالولاة أهلك دنياه، ومن استخف بالإخوان أفسد مروءته. ص ٧٩

٢٩ـ يسلم العاقل من عظام الذنوب والعيوب بالقناعة ومحاسبة النفس. ص٨٠

٣٠ـ لا تجد العاقل يحدث من يخاف تكذيبه، ولا يسأل من يخاف منعه، ولا يَعِدُ بما لا يجد إنجازه، ولا يرجو ما يُعنَّف برجائه، ولا يقدم على ما يخاف العجز عنه. ص ٨٠

٣١ـ لا عقل لمن أغفله عن آخرته ما يجد من لذة دنياه، وليس من العقل أن يحرمه حظه من الدنيا بصره بزوالها. ص ٨٠

٣٢ـ أغنى الناس أكثرهم إحساناً. ص ٨٢

٣٣_ من أشد عيوب الإنسان خفاء عيوبه عليه؛ فإن من خفي عليه عيبه خفيت عليه محاسن غيره، ومن خفي عليه عيب نفسه ومحاسن غيره فلن يقلع عن عيبه الذي لا يعرف، ولن ينال محاسن غيره التي لا يبصر أبداً. ص ٨٢

٣٤_ خمول الذكر أفضل من الذكر الذميم. ص ٨٢

٣٥_ خصال يُسَرُّ بها الجاهل كلها كائن وبالاً عليه، منها أن يفخر من العلم والمروءة بما ليس عنده، ومنها أن يرى بالأخيار من الاستهانة والجفوة ما يُشْمِتُهُ بهم. ص ٨٢

٣٦_ لا يؤمننَّك شر الجاهل قرابةٌ ولا جوار ولا إلف. ص ٨٤

٣٧_ كان يقال: قارب عدَّوك بعض المقاربة تنلْ حاجتك، ولا تقاربْه كل المقاربة؛ فيجترئ عليك عدوك، وتُذِلَّ نفسك، ويرغب عنك ناصرك. ص ٨٤

٣٨_ الحازم لا يأمن عدوه على حال. ص ٨٥

٣٩_ الظفر بالحزمِ، والحزمُ بإجالة الرأي، والرأي بتحصين الأسرار. ص ٨٥

٤٠_ المستشير_ وإن كان أفضل من المستشار رأياً_ فهو يزداد برأيه رأياً، كما تزداد النار بالودك ضوءاً. ص ٨٥

٤١_ لا يطمعن ذو الكِبْر في حسن الثناء، ولا الخب في كثرة الصديق، ولا السيئ الأدب في الشرف، ولا الشحيح في المحمدة، ولا الحريص في الإخوان، ولا الملك المعجب بثبات الملك. ص ٨٥_٨٦

٤٢_ صرعة اللِّيْن أشد استئصالاً من صرعة المكابرة. ص ٨٦

٤٣_ أربعة أشياء لا يستقلُّ منها قليل: النار، والمرض، والعدو، والدَّين. ص ٨٦

٤٤_ المودة بين الأخيار سريع اتصالها، بطيء انقطاعها، ومَثَلُ ذلك مَثَلُ

كوب الذهب الذي هو بطيء الانكسار، هيِّن الإصلاح، والمودة بين الأشرار سريع انقطاعها، بطيء اتصالها كالكوز الفخار يكسره أدنى عبث، ثم لا وصل له أبداً. ص ٨٧

٤٥_ الكريم يمنح الرجل مودته عن لَقْية واحدة، أو معرفة يوم، واللئيم لا يصل أحداً إلا عن رغبة أو رهبة. ص ٨٧

٤٦_ لا يتم حسن الكلام إلا بحسن العمل، كالمريض الذي علم دواء نفسه؛ فإذا هو لم يتداوَ به لم يغنه علمه. ص ٨٩

٤٧_ الرجل ذو المروءة قد يكرم على غير مال، كالأسد الذي يهاب وإن كان عقيراً، والرجل الذي لا مروءة له يهان وإن كثر ماله كالكلب الذي يهون على الناس وإن طُوِّق وخُلخِل. ص ٨٩_٩٠

٤٨_ إن أولى الناس بفضل السرور وكرم العيش، وحسن الثناء_ من لا يبرح رَحْلُه من إخوانه وأصدقائه من الصالحين مَوْطُوءاً، ولا يزال عنده منهم زحام، ويسرهم ويسرونه، ويكون من وراء حاجاتهم وأمورهم؛ فإن الكريم إذا عثر لم يستقل_ أي لم يستطع النهوض_ إلا بالكرام، كالفيل إذا وَحِل لم يستخرجه إلا الفيلة. ص ٩٠_٩١

٤٩_ من المعونة على تسلية الهموم، وسكون النفس_ لقاء الأخ أخاه، وإفضاء كل واحد منهما إلى صاحبه ببثه.

وإذا فرق بين الأليف وأليفه فقد سلب قراره، وحرم سروره. ص٩١

٥٠_ قلَّ ما ترانا نُخلّف عقبةً من البلاء إلا صرنا في أخرى. ص٩٢

ب: نقولات من كتاب الأدب الكبير لابن المقفع:

١_ لا تتركن مباشرة جسيم أمرك فيعودَ شأنك صغيراً، ولا تُلزِمنَّ نفسك مباشرة الصغير فيصير الكبير ضائعاً. ص ١٠٤

٢_ ابذل لصديقك دمك، ومالك، ولمعرفتك رفدك_ عطاءك_ ومحضرك_ مشهدك_.

وللعامة بِشْرَك، وتحننك، ولعدوك عدلك وإنصافك، واضنن بدينك وعرضك على كل أحد. ص ١٣١

٣_ إذا سمعت من صاحبك كلاماً، أو رأيت منه رأياً يعجبك_ فلا يعجبك أن تنتحله تزيناً به عند الناس، واكتفِ من التزين بأن تجتني الصواب إذا سمعته، وتنسبه إلى صاحبه.

واعلم أن انتحالك ذلك مسخطة لصاحبك، وأن فيه مع ذلك عاراً وسخفاً.

فإن بلغ بك ذلك أن تشير برأي الرجل، وتتكلم بكلامه وهو يسمع جمعت مع الظلم قلة الحياء.

وهذا من سوء الأدب الفاشي في الناس.

ومن تمام حسن الخلق والأدب في هذا الباب أن تسخو نفسُك لأخيك بما انتحل من كلامك ورأيك، وتنسب إليه رأيه وكلامه، وتزينه مع ذلك ما استطعت.

ص ١٣٢

٤_ لا يكوننَّ من خلقك أن تبتدئ حديثاً ثم تقطعه وتقول: «سوف» كأنك

روَّأت[1] فيه بعد ابتدائك إياه.

وليكن تروِّيك فيه قبل التفوُّه به؛ فإن احتجان الحديث بعد افتتاحه سخف وغم. ص ١٣٢

٥ـ اخزن عقلك وكلامك إلا عند إصابة الموضع؛ فإنه ليس في كل حين يحسن كل صواب، وإنما تمام إصابة الرأي والقول بإصابة الموضع. ص ١٣٢

٦ـ ليعرف العلماء حين تجالسهم أنك على أن تسمع أحرص منك على أن تقول. ص ١٣٢

٧ـ لا تخلطن بالجد هزلاً، ولا بالهزل جداً؛ فإنك إن خلطت بالجد هزلاً هجَّنته، وإن خلطت بالهزل جداً كدَّرته.

غيرَ أني قد علمت موطناً واحداً إن قدرت أن تستقبل فيه الجد بالهزل أصبت الرأي، وظهرت على الأقران.

وذلك أن يتورَّدك متورد [2] بالسفه والغضب وسوء اللفظ تجيبه إجابة الهازل المداعب برحب من الذُّرع، وطلاقة من الوجه، وثبات من المنطق. ص ١٣٣

٨ـ إذا رأيت صاحبك مع عدوِّك فلا يغضبنك ذلك؛ فإنما هو أحد رجلين:

إن كان رجلاً من إخوان الثقة فأنفع مواطنه لك أقربها من عدوك لشر يكفه عنك، أو لعورة يسترها منك، أو غائبه يطَّلع عليها لك، فأما صديقك فما أغناك أن يحضره ذو ثقتك.

١ـ أي أطلت النظر وتمهلت الجواب.

٢ـ يتوردك متورد: يحملك على أن تغتاظ.

وإن كان رجلاً من غير خاصة إخوانك فبأي حق تقطعه عن الناس ، وتكلفه ألا يصاحب ولا يجالس إلا من تهوى. ص ١٣٣

٩_ تحفظ في مجلسك وكلامك من التطاول على الأصحاب ، وطب نفساً عن كثير مما يعرض لك فيه صواب القول والرأي؛ مداراةً؛ لئلا يظن أصحابك أن دأبك التطاول عليهم. ص ١٣٣_١٣٤

١٠_ إذا أقبل عليك مقبل بودِّه فسرك ألا يدبر عنك_ فلا تنعم الإقبال عليه ، والتفتح له؛ فإن الإنسان طبع على ضرائب لؤم؛ فمن شأنه أن يرحل عمن لصق به ، ويلصق بمن رحل عنه إلا من حفظ بالأدب نفسه ، وكابر طبعه؛ فتحفظ من هذا فيك وفي غيرك. ص ١٣٤.

١١_ وإن آنست من نفسك فضلاً فتحرَّج أن تذكره ، أو تبديه ، واعلم أن ظهوره منك بذلك الوجه يقرر لك في قلوب الناس من العيب أكثر مما يقرر لك من الفضل.

واعلم أنك إن صبرت ، ولم تعجل ظهر ذلك منك بالوجه الجميل المعروف عند الناس.

ولا يَخْفَينَّ عليك أن حرص الرجل على إظهار ما عنده ، وقلة وقاره في ذلك _ باب من أبواب البخل واللؤم ، وأن خير الأعوان على ذلك _ السخاءُ والتكرم. ص ١٣٥

١٢_ إذا رأيت رجلاً يحدث حديثاً قد علمته ، أو يخبر خبراً قد سمعته _ فلا تشاركه فيه ، ولا تتعقبه عليه؛ حرصاً على أن يعلم الناس أنك قد علمته؛ فإن في

ذلك خفةً، وشحَّاً، وسوء أدب، وسخفاً. ص ١٣٦

١٣_ احفظ قول الحكيم الذي قال: لتكن غايتك فيما بينك وبين عدوك العدل، وفيما بينك وبين صديقك الرضاء. ص ١٣٦

١٤_ لا تعتذرن إلا إلى من يحب أن يجد لك عذراً، ولا تستعينن إلا بمن يحب أن يُظْفِرك بحاجتك، ولا تحدثن إلا من يرى حديثك مغنماً، ما لم يغلبك اضطرار. ص ١٤٠

١٥_ إذا اعتذر إليك معتذر فتلَقَّهُ بوجه مشرق، وبشرٍ ولسانٍ طلق إلا أن يكون ممن قطيعته غنيمة. ص ١٤٠

١٦_ إذا غرست من المعروف غرساً، وأنفقت عليه نفقة فلا تضنَّن في تربية ما غرست واستنمائه، فتذهب النفقة الأولى ضياعاً. ص ١٤٠

١٧_ إذا كانت لك عند أحد صنيعة، أو كان لك عليه طَوْل _ فالتمس إحياء ذلك بإماتته، وتعظيمه بالتصغير له.

ولا تقتصرنَّ في قله المنَّ به على أن تقول: لا أذكره، ولا أصغي بسمعي إلى من يذكره؛ فإن هذا قد يستحيي منه بعض من لا يوصف بفعل ولا كرم.

ولكن احذر أن يكون في مجالستك إياه، وما تكلمه به، أو تستعينه عليه، أو تجاريه فيه شيء من الاستطالة؛ فإن الاستطالة تهدم الصنيعة، وتكدر المعروف. ص ١٤١ _ ١٤٢

١٨_ احترس من سورة الغضب، وسورة الحمية، وسورة الحقد، وسورة الجهل. وأعدد لكل شيء من ذلك عدة تجاهده بها من الحلم والتفكر، والروية،

وذكر العاقبة، وطلب الفضيلة. ص ١٤٢

١٩ـ ذلل نفسك بالصبر على جار السوء، وعشير السوء، وجليس السوء؛ فإن ذلك مما لا يكاد يخطئك. ص ١٤٣

٢٠ـ اللئام أصبر أجساداً، والكرام أصبر نفوساً. ص ١٤٣

٢١ـ الصبر الممدوح أن يكون للنفس غلوباً، وللأمور محتملاً، وفي الضراء متجملاً، ولنفسه عند الرأي والحفاظ[1] مرتبطاً، وللحزم مؤثراً، وللهوى تاركاً، وللمشقة التي يرجو حسن عاقبتها مستخفاً، وعلى مجاهدة الأهواء والشهوات مواظباً، ولبصيرته بعزيمته منفِّذاً. ص ١٤٣

٢٢ـ عوِّد نفسك السخاء، واعلم أنه سخاءان: سخاوة نفس الرجل بما في يديه، وسخاوته عما في أيدي الناس.

وسخاوة نفس الرجل بما في يديه أكثرهما وأقربهما من أن تدخل فيه المفاخرة، وتركه ما في أيدي الناس أمحض في التكرم، وأبرأ من الدنس؛ فإنْ هو جمعهما فبذل، وعفَّ فقد استكمل الجود والكرم. ص ١٤٤

٢٣ـ ليكن مما تصرف به الأذى والعذاب عن نفسك ألا تكون حسوداً؛ فإن الحسد خلق لئيم، ومن لؤمه أنه موكل بالأدنى فالأدنى من الأقارب، والأكفاء والمعارف والخلطاء والإخوان. ص١٤٤

٢٤ـ لا تتخذن اللعن والشتم على عدوك سلاحاً؛ فإنه لا يجرح في نفس، ولا منزلة، ولا مال، ولا دين. ص١٤٦

٢٥ـ إذا أردت أن تكون داهياً فلا تُحِبنَّ أن تسمى داهياً؛ فإن من عرف

١ـ الغضب.

بالدهاء خاتل علانية، وحذره الناس، حتى يمتنع منه الضعيف، ويتعرض له القوي. ص ١٤٦

٢٦_ إن من إرب الأريب دفنَ إربه ما استطاع؛ حتى يعرف بالمسامحة في الخليقة، والاستقامة في الطريقة. ص ١٤٧

٢٧_ إذا أردت السلامة فأشعر قلبك الهيبة للأمور من غير أن تَظْهَر منك الهيبة، فتُفَطِّن الناس بنفسك، وتُجرِّئهم عليك، وتدعو إليك منهم كل الذي تهاب.

فأشْعِبْ [١] لمداراة ذلك من كتمان الهيبة وإظهار الجرأة والتهاون _ طائفةً من رأيك. ص ١٤٧

٢٨_ اعلم أن من أوقع الأمور في الدين، وأنهكها للجسد، وأتلفها للمال، وأقتلها للعقل، وأزراها للمروءة، وأسرعها في ذهاب الجلالة والوقار _ الغرامَ بالنساء.

ومن البلاء على المغرم بهن أنه لا ينفك يأجم [٢] ما عنده، وتطمح عيناه إلى ما ليس عنده منهن، وإنما النساء أشباه. ص ١٤٩

٢٩_ ومن العجب أن الرجل الذي لا بأس بلبه ورأيه يرى المرأة من بعيد متلففةً في ثيابها؛ فَيُصَوِّر لها في قلبه الحسن والجمال، حتى تعْلقَها نفسُه من غير رؤية ولا خبر مخبر، ثم لعله يهجم منها على أقبح القبح، وأَدَمِّ الدمامة؛ فلا

١_ أشعب: اجعل.

٢_ يأجم: يمل.

يعظه ذلك، ولا يقطعه عن أمثالها، ولا يزال مشغوفاً بما لم يذق، حتى لو لم يبق في الأرض غير امرأة واحدة لظن أن لها شأناً غير شأن ما ذاق.

وهذا هو الحمق، والشقاء، والسفه. ص ١٥٠

٣٠_ إن استطعت أن تضع نفسك دون غايتك في كل مجلس، ومقام، ومقال، ورأي، وفعل _ فافعل؛ فإن رفع الناس إياك فوق المنزلة التي تحط إليها نفسك، وتقريبهم إياك إلى المجلس الذي تباعدت منه، وتعظيمهم من أمرك ما لم تُعظِّم، وتزيينهم من كلامك ورأيك وفعلك ما لم تزيِّن _ هو الجمال. ص ١٥١

٣١_ احذر المراء، وأغْرِبْه[1]، ولا يمنعك حذرُ المراء من حسن المناظرة والمجادلة. ص ١٥١

٣٢_ اعلم أنك ستُبْتَلى من أقوام بسفهٍ، وأن سفه السفيه سيُطلع له منك حقداً؛ فإن عارضته، أو كافأته بالسفه فكأنك قد رضيت ما أتى به؛ فأحببت أن تحتذي على مثاله؛ فإن كان ذلك عندك مذموماً فحقق ذمك إياه بترك معارضته.

فأما أن تذمه، وتمتثله فليس في ذلك لك سداد. ص ١٥٥

٣٣_ لا تلتمس غلبةَ صاحبك، والظفر عليه عند كل كلمة ورأي، ولا تجترئن على تقريعه بظفرك إذا استبان، وحجتك عليه إذا وُضَحت. ص ١٥٦

٣٤_ إذا أُكْرِمت على دين أو مروءة فذلك فليعجبك؛ فإن المروءة لا تزايلك في الدنيا، وإن الدين لا يزايلك في الآخرة. ص ١٥٦

٣٥_ اعلم أن الجبن مقتلة، وأن الحرص محرمة. ص ١٥٦

١_ أغربه: أبعده.

٣٦ـ إذا بدهك أمران لا تدري أيهما أصوب فانظر أيهما أقرب إلى هواك فخالفه؛ فإن أكثر الصواب في خلاف الهوى. ص ١٥٨

٣٧ـ لُطفُك بصاحب صديقك أحسن عنده موقعاً من لطفك به في نفسه. ص ١٥٩

٣٨ـ اتق الفرح عند المحزون، واعلم أنه يحقد على المنطلق، ويشكر للمكتئب. ص ١٥٩

٣٩ـ البُغْضَةُ خوف، والمودة أمن. ص ١٥٩

٤٠ـ اعلم أن المستشار ليس بكفيل، وأن الرأي ليس بمضمون. ص ١٦٠

٤١ـ إذا أشار عليك صاحبك برأي ثم لم تجد عاقبته على ما كنت تأمل ـ فلا تجعل ذلك عليه ذنباً، ولا تلزمه لوماً وعذلاً. ص ١٦٠

٤٢ـ إذا كنت أنت المشير فعمل برأيك أو تركه فبدا صوابك ـ فلا تمنن به، ولا تكثرن ذكره إن كان فيه نجاح، ولا تلمه عليه إن كان قد استبان في تركه ضرر بأن تقول: ألم أقل لك: افعل هذا؛ فإن هذا مجانب لأدب الحكماء. ص ١٦٠

٤٣ـ تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الكلام، ومن حسن الاستماع إمهال المتكلم حتى ينقضي حديثه، وقلة التلفت إلى الجواب، والإقبال بالوجه، والنظر إلى المتكلم، والوعي لما يقول. ص ١٦٠

٤٤ـ إذا كنت في جماعة قوم أبداً فلا تعمَّنَّ جيلاً من الناس، أو أمة من الأمم بشتم ولا ذم؛ فإنك لا تدري لعلك تتناول بعض أعراض جلسائك مخطئاً؛ فلا تأمن مكافئتهم، أو متعمداً؛ فتنسب إلى السفه.

ولا تذمن ـ مع ذلك ـ اسماً من أسماء الرجال أو النساء بأن تقول: إن هذا

لقبيح من الأسماء؛ فإنك لا تدري لعل ذلك غير موافق لبعض جلسائك، ولعله يكون بعض أسماء الأَهْلِين والحُرَمِ.

ولا تستصغرن من هذا شيئاً؛ فكل ذلك يجرح القلب، وجرح اللسان أشد من جرح اليد. ص ١٦٢

٤٥_ اعلم أن بعض شدة الحذر عونٌ عليك في ما تحذر، وأن بعض شدة الاتقاء مما يدعو إليك ما تتقي. ص ١٦٣

٤٦_ واعلم أن الناس يخدعون أنفسهم بالتعريض والتوقيع بالرجال في التماس مثالبهم ومساويهم و نقيصتهم.

وكل ذلك أبين عند سامعيه من وضح الصبح؛ فلا تكونن من ذلك في غرور، ولا تجعلن نفسك من أهله. ص ١٦٣

٤٧_ اعلم أن مِنْ تنكُّب[1] الأمور ما يسمى حذراً ومنه ما يسمى خوراً؛ فإن استطعت أن يكون جبنك في الأمر قبل مواقعتك إياه فافعل؛ فإن هذا الحذر.

ولا تنغمس فيه ثم تتهيَّبه؛ فإن هذا هو الخور؛ فإن الحكيم لا يخوض نهراً حتى يعلم مقدار غَوْرِه. ص ١٦٣

١_ التنكب: التباعد.

ثانياً: نقولات مختارة من كتاب:

صيد الخاطر لابن الجوزي ت: ٥٩٧

تحقيق عامر بن علي ياسين دار ابن خزيمة

«**تعريف موجز بالكتاب**»:

صيد الخاطر من أشهر كتب ابن الجوزي المولود رحمه الله سنة ٥٠٨ أو ٥٠٩، أو ٥١٠.

وهذا الكتاب روضة غناء، وارفة الظلال، دانية القطوف، متنوعة الثمار.

وهذا الكتاب لا يختص بموضوع أو فن معين، بل هو متنوع الموضوعات، متعدد الفنون؛ ففيه تذكير، وتحذير، ونصح وإرشاد، وتوجيه لأهل العلم والعبادة، وكلام على الزواج، وأسراره، وعلاقة الرجل بالمرأة.

وفيه تحذير من الفتن، والذنوب، والمعاصي.

وفيه وعظ يلين القلوب، ويدنيها من علام الغيوب.

وفيه حث على إصلاح السرائر، ومراقبة الخلوات، وتجنب الريب، والموبقات.

وفيه حديث عن الحكم والمصالح، والحذر من الغفلة، إلى غير ذلك مما فيه صلاح المعاش والمعاد.

كل ذلك بعبارة مشرقة، وبيان خلاب.

«**نقولات مختارة من كتاب صيد الخاطر**»:

١ ـ من قارب الفتنة بعدت عنه السلامة، ومن ادعى الصبر وُكِلَ إلى نفسه،

ورب نظرة لم تناظر[1].

وأحق الأشياء بالضبط والقهر: اللسان، والعين؛ فإياك أن تغتر بعزمك على ترك الهوى مع مقاربة الفتنة؛ فإن الهوى مُكَايد، وكم من شجاع في صف الحرب اغتيل، فأتاه ما لم يحتسب، ممن يأنف النظر إليه. ص ٤١

٢ـ ما رأيت أعظم فتنة من مقاربة الفتنة، وقل أن يقاربها إلا من يقع فيها، ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه. ص٣٥٠

فتبصر ولا تشم كل برق رب برق فيه صواعق حَيْنِ[2]

واغضض الطرف تسترح من غرام تكتسي فيه ثوبَ ذلٍّ وشينِ

فبلاء الفتى موافقة النفس وبدء الهوى طموح العينِ

٣ـ فكل ظالم معاقب في العاجل على ظلمه قبل الآجل، وكذلك كل مذنبٍ ذنباً، وهو معنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ ﴾ النساء ١٢٣.

وربما رأى العاصي سلامة بدنه؛ فظن ألا عقوبة، وغفلته عما عوقب به عقوبة.

وقد قال الحكماء: المعصية بعد المعصية عقاب المعصية، والحسنة بعد الحسنة ثواب الحسنة.

وربما كان العقاب العاجل معنوياً، كما قال بعض أحبار بني إسرائيل: يا رب! كم أعصيك، ولا تعاقبني؟ فقيل له: كم أعاقبك، وأنت لا تدري؟ أليس

١ـ أي لم تمهل؛ فأصابته بسهم، أو أوقعته في فتنة.

٢ ـ الحَيْن : الهلاك.

قد حرمتك حلاوة مناجاتي؟ ص١٠٣ _ ١٠٤.

٤_ الواجب على العاقل أن يحذر مغبة المعاصي؛ فإن نارها تحت الرماد، وربما تأخرت العقوبة، وربما جاءت مستعجِلة. ص٣٣٩

٥_ قد تَبْغَتُ العقوبات، وقد يؤخرها الحلم، والعاقل من إذا فعل خطيئة بادرها بالتوبة؛ فكم مغرور بإمهال العصاة لم يمهل.

وأسرع المعاصي عقوبةً ماخلا عن لذة تنسي النُهَى، فتكون كالمعاندة، والمبارزة، فإن كانت اعتراضاً على الخالق، أو منازعة له في عظمته، فتلك التي لا تُتلافى، خصوصاً إذا وقعت من عارف بالله؛ فإنه يندر إهماله. ص٥٠٠

٦_ أعجب الأشياء اغترار الإنسان بالسلامة، و تأميله الإصلاح فيما بعد، وليس لهذا الأمل منتهى ولا للاغترار حد؛ فكلما أصبح وأمسى معافى زاد الاغترار، وطال الأمل. ص٥٣٢

٧_ نظرت في الأدلة على الحق _ سبحانه وتعالى _ فوجدتها أكثر من الرمل، ورأيت من أعجبها: أن الإنسان يخفي مالا يرضاه الله _ عز وجل _ فيظهره الله _ سبحانه _ عليه، ولو بعد حين، ويُنْطِق به الألسنة وإن لم يشاهده الناس، وربما أوقع صاحبه في آفة يفضحه بها بين الخلق؛ فيكون جواباً لكل ما أخفى من الذنوب؛ وذلك ليعلم الناس أن هنالك من يجازي على الزلل، ولا ينفع من قَدَرِه وقدرته حجاب، ولا استتار، ولا يضاع لديه عمل.

وكذلك يخفي الإنسان الطاعة، فتظهر عليه، ويتحدث الناس بها، وبأكثر منها، حتى إنهم لا يعرفون له ذنباً، ولا يذكرونه إلا بالمحاسن؛ ليُعلم أن هنالك

رباً لا يُضِيع عَملَ عاملٍ.

وإن قلوب الناس لتعرف حال الشخص، وتحبه، أو تأباه، وتذمه، أو تمدحه وَفْقَ ما يتحقق بينه وبين الله ـ تعالى ـ فإنه يكفيه كل هم، ويدفع عنه كل شر.

وما أصلح عبد ما بينه وبين الخلق دون أن ينظر إلى الحق إلا انعكس مقصوده وعاد حامده ذاماً. ص١٠٨ ـ ١٠٩

٨ـ إن للخلوة تأثيراتٍ تَبِيْنُ في الجلوة؛ كم من مؤمن بالله ـ عز وجل ـ يحترمه عند الخلوات فيترك ما يشتهي حذراً من عقابه، أو رجاء لثوابه، أو إجلالاً له؛ فيكون بذلك الفعل كأنه طرح عوداً هندياً على مجمر، فيفوح طيبه، فيستنشقه الخلائق، ولا يدرون أين هو.

وعلى قدر المجاهدة في ترك ما يهوى تقوى محبته، أو على مقدار زيادة دفع ذلك المحبوب المتروك يزيد الطيب، ويتفاوت تفاوت العود.

فترى عيون الخلق تعظم هذا الشخص، وألسنتهم تمدحه، ولا يعرفون ولا يقدرون على وصفه؛ لبعدهم عن حقيقة معرفته.

وقد تمتد هذه الأراييح [١] بعد الموت على قدرها؛ فمنهم من يذكر بالخير مدة مديدة، ثم ينسى، ومنهم من يذكر مائة سنة ثم يخفى ذكره، وقبره [٢]، ومنهم أعلام يبقى ذكرهم أبداً.

وعلى عكس هذا من هاب الخلق، ولم يحترم خلوته بالحق؛ فإنه على قدر

١ـ الأراييح: يعني الروائح الزكية.

٢ـ لا يضره إن خفي قبره.

مبارزته بالذنوب، وعلى مقادير تلك الذنوب يفوح منه ريح الكراهة؛ فتمقته القلوب؛ فإن قل مقدار ما جنى قل ذكر الألسن له بالخير، وبقي مجرد تعظيمه

وإن كثر كان قصارى الأمر سكوت الناس عنه، لا يمدحونه ولا يذمونه. ص ٣٠١ _ ٣٠٢

٩_ إنه بقدر إجلالكم لله _ عز وجل _ يجلكم وبمقدار تعظيم قدره واحترامه يُعظِّم أقداركم، وحرمتكم.

ولقد رأيت _ والله _ من أنفق عمره في العلم إلى أن كبرت سنه، ثم تعدى الحدود؛ فهان عند الخلق، وكانوا لا يلتفتون إليه مع غزارة علمه، وقوة مجاهدته.

ولقد رأيت من يراقب الله _ عز وجل _ في صبوته مع قصوره بالإضافة إلى ذلك العالم؛ فعظم الله قدره في القلوب، حتى عَلِقَتْهُ [1] ووصفته بما يزيد على ما فيه من الخير.

ورأيت من كان يرى الاستقامة إذا استقام، وإذا زاغ مال عنه اللطف.

ولولا عموم الستر، وشمول رحمة الكريم _ لافتضح هؤلاء المذكورون، غير أنه في الأغلب تأديب، أو تلطف في العقاب. ص٣٣٦ _ ٣٣٧

١٠_ في قوة قَهرِ الهوى لذة تزيد على كل لذة؛ ألا ترى إلى كل مغلوب بالهوى كيف يكون ذليلاً؛ لأنه قُهِرَ، بخلاف غالب الهوى؛ فإنه يكون قوي القلب عزيزاً؛ لأنه قَهَر. ص١١٥

١١_ بالله عليك! يا مرفوع القدر بالتقوى، لا تبع عزها بذل المعاصي،

---

١ - يعني أحبته، وتعلقت به.

وصابر عطش الهوى في هجير المشتهى، وإن أمضَّ وأرمضَّ[1]. ص٢٥٢

١٢ـ بالله عليك! تذوق حلاوة الكف عن المنهي؛ فإنها شجرة تثمر عز الدنيا وشرف الآخرة، ومتى اشتد عطشك إلى ما تهوى فابسط أنامل الرجاء إلى من عنده الرِّيُّ الكامل، وقل:

«قَدْ عِيلَ صَبْرُ الطَّبْعِ في سنيّه العجاف؛ فعجل لي العام الذي فيه أُغاث وأَعْصِر». ص٢٥٣

١٣ـ إخواني! احذروا لجة هذا البحر، ولا تغتروا بسكونه، وعليكم بالساحل، ولازموا حصن التقوى؛ فالعقوبة مرة واعلموا أن في ملازمة التقوى مرارات من فقد الأغراض، والمشتهيات غير أنها في ضرب المثل كالحِمْيَةِ تُعْقِبُ صحة، والتخليط ربما جلب موت الفجأة. ص٣١٥

١٤ـ ما من عبد أطلق نفسه في شيء ينافي التقوى ـ وإن قل ـ إلا وجد عقوبته عاجلة، أو آجلة.

ومن الاغترار أن تسيء؛ فترى إحساناً؛ فتظن أنك قد سومحت، وتنسى: ﴿ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ ﴾ النساء: ١٢٣ ص٣١٣

١٥ـ واعلم أن من أعظم المحن الاغترار بالسلامة بعد الذنب؛ فإن العقوبة تتأخر، ومن أعظم العقوبة ألا يحس الإنسان بها، وأن تكون في سلب الدين وطمس القلوب، وسوء الاختيار للنفس؛ فيكون من آثارها سلامة البدن، وبلوغ الأغراض. ص ٣١٤ ـ ٣١٥

١ـ أمض: آلم، وأرمض: أحرق.

١٦_ فالحذر الحذر من عواقب الخطايا، والبدارَ البدارَ إلى محوها بالإنابة؛ فلها تأثيرات قبيحة إن أسرعت، وإلا اجتمعت، وجاءت. ص٥٠٢

١٧_ لو ميز العاقل بين قضاء وطره لحظة، وانقضاء باقي العمر بالحسرة على قضاء ذلك الوطر _ لما قرب منه، ولو أعطي الدنيا، غير أن سكرة الهوى تحول بين الفكر وبين ذلك. ص٣٢١

١٨_ فأجود الأشياء قطع أسباب الفتن، وترك الترخص فيما يجوز إذا كان حاملاً ومؤدياً إلى مالا يجوز. ص٣٥١

١٩_ فإياك أن تنظر إلى صورة نعيمهم يعني _ أرباب الدنيا _ فإنك تستطيبه لبعده عنك، ولو قد بلغته كرهته، ثم في ضمنه من محن الدنيا والآخرة مالا يوصف؛ فعليك بالقناعة مهما أمكن؛ ففيها سلامة الدنيا والدين.

وقد قيل لبعض الزهاد _ وعنده خبز يابس _: كيف تشتهي هذا؟ فقال: أتركه حتى أشتهيه. ص٣٧٢

٢٠_ إخواني! لنفسي أقول؛ فمن له شِربٌ معي فَلْيَرِدْ: أيتها النفس! لقد أعطاكِ الله مالم تؤملي، وبلَّغكِ مالم تطلبي، وستر عليك من قبيحك ما لو فاح ضجت المشامُّ،[1] فما هذا الضجيج من فوات كمال الأغراض أمملوكة أنتِ أم حرة؟! أما علمتِ أنك في دار التكليف؟!

وهذا الخطاب ينبغي أن يكون للجهال؛ فأين دعواكِ المعرفة؟!

أتراه لو هبَّت نفحةٌ فأخذتِ البصرَ، كيف كانت تطيب لك الدنيا؟!

---

١ _ المشام: الأنوف.

وا أسفاً عليكِ! لقد عشيتِ البصيرة التي هي أشرف، وما علمت كم أقول: عسى، ولعل، وأنت في الخطأ إلى قُدام.

قرُبتْ سفينة العمر من ساحل القبر، ومالكِ في المركب بضاعةٌ تربح، تلاعبت في بحر العمر ريحُ الضعف؛ فغرَّقتْ تلفيق القوى، وكأنْ قد فَصَلَتِ المركب، بلغتِ نهايةَ الأجل، وعينُ هواك تتلفَّتُ إلى الصبا!

بالله عليك، لا تُشْمِتي بكِ الأعداء!

هذا أقل الأقسام، وأوفى منها أن أقول: بالله عليك لا يفوتنَّكِ قَدَمُ سابقٍ مع قدرتك على قطع المضمار.

الخلوةَ الخلوةَ، واستحضري قرين العقل، وجولي في حيرة الفكر، واستدركي صُبابة الأجل قبل أن تميل بك الصَّبابة [1] عن الصواب.

واعجباً! كلما صعِد العُمُرُ نزلتِ! وكلما جدَّ الموتُ هزلتِ!

أتراك ممن خُتم له بِفتنةٍ، وقضيت عليه عند آخر عمره المحنة؟!

كان أولُ عُمُركِ خيراً من الأخير، كنتِ في زمن الشباب أصلح في زمن أيام المشيب...﴿ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلا الْعَالِمُونَ ﴾ العنكبوت:٤٣

نسأل الله ـ عز وجل ـ ما لا يحصل إلا به، وهو توفيقه؛ إنه سميع مجيب. ص٣٤٠ ـ ٣٤٢.

٢١ـ ولقد تاب على يدي في مجالس الذكر أكثر من مائتي ألف، وأسلم على يدي أكثر من مائتي نفس، وكم سالت عين متكبر بوعظي لم تكن تسيل، ويحق

---

١ ـ صُبابة الأجل: بقية العمر، والصَّبابة: الهوى.

لمن تَلمَّحَ هذا أن يرجو التمام.

وربما لاحت أسباب الخوف بنظري إلى تقصيري وزللي.

ولقد جلستُ يوماً فرأيت حولي أكثر من عشرة آلاف ما فيهم إلا مَن رقَّ قلبه، أو دمعت عينه فقلت لنفسي: كيف بك إن نجوا وهلكتِ؟! فصحت بلسان وَجْدِي: إلهي وسيدي! إن قضيت عليَّ بالعذاب غداً فلا تعلمهم بعذابي؛ صيانة لكرمك، لا لأجلي؛ لأن لا يقولوا عَذَّبَ من دلَّ عليه.

إلهي قد قيل لنبيك ﷺ اقتل ابن أبيّ المنافق فقال: «لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه».

إلهي! فاحفظ حسن عقائدهم فيَّ بكرمك أن تُعْلِمهم بعذاب الدليل عليك[1]، حاشاك ـ والله يارب ـ من تكدير الصافي. ص٣٤٠ـ ٣٤٢

٢٢ـ بلغني عن بعض فساق القدماء أنه كان يقول: ما أرى العيش غير أن تتبع النفس هواها، فمخطئاً، أو مصيباً.

فتدبرت حال هذا وإذا به ميت النفس، ليس له أنفة على عرضه، ولا خوف عار، ومثل هذا ليس في مسلاخ [2] الآدميين. ص٤٩٩

٢٣ـ قد جاء في الأثر: اللهم أرنا الأشياء كما هي.

وهذا كلام حسن غايةً، وأكثر الناس لا يرون الأشياء بعينها؛ فإنهم يرون الفاني كأنه باقٍ، ولا يكادون يتخايلون زوال ما هم فيه ـ وإن علموا ذلك ـ إلا أن

---

١ ـ يعني ابن الجوزي نفسه.

٢ ـ مسلاخ: جلد

عين الحس مشغولة بالنظر إلى الحاضر، ألا ترى زوال اللذة، وبقاء إثمها. ص ٦٦٨

٢٤ـ تذكرت في سبب دخول جهنم فإذا هو المعاصي، فنظرت في المعاصي فإذا هي حاصلة في طلب اللذات، فنظرت في اللذات فإذا هي خِدَعٌ ليست بشيء، وفي ضمنها من الأكدار ما يصيِّرها نغصاً، فتخرج عن كونها لذاتٍ؛ فكيف يتبع العاقل نفسه، ويرضى بجهنم؛ لأجل هذه الأكدار؟. ص٦٨٤

٢٥ـ إنما فضل العقل بتأمل العواقب، فأما القليل العقل فإنه يرى الحال الحاضرة، ولا ينظر إلى عاقبتها؛ فإن اللص يرى أخذ المال، وينسى قطع اليد، والبطال يرى لذة الراحة، وينسى ما تجني من فوات العلم، وكسب المال؛ فإذا كَبِرَ، فسئل عن علم لم يدر، وإذا احتاج سأل، فذل؛ فقد أربى ما حصل له من التأسف على لذة البطالة، ثم يفوته ثواب الآخرة بترك العمل في الدنيا.

وكذلك شارب الخمر يلتذُّ تلك الساعة، وينسى ما يجني من الآفات في الدنيا، والآخرة.

وكذلك الزنا فإن الإنسان يرى قضاء الشهوة، وينسى ما يجني من فضيحة الدنيا والحد، وربما كان للمرأة زوج، فألحقت الحمل من هذا به، وتسلسل الأمر.

فقس على هذه النبذة، وانتبه للعواقب، ولا تؤثر لذة تُفوِّت خيراً كثيراً ، وصابر المشقة تُحَصِّلْ ربحاً وافراً. ص ٧٥٤ ـ ٧٥٥

٢٦ـ من تفكر في عواقب الدنيا أخذ الحذر، ومن أيقن بطول الطريق تأهب للسفر. ص٤٠

٢٧ـ رأيت كثيراً من الناس يتحرزون من رَشاسِ نجاسةٍ، أولا يتحاشَوْنَ من

غِيبةٍ، ويكثِرونَ من الصَّدَقَةِ ولا يُبَالونَ بمعاملاتِ الرِّبا، ويتهجَّدون بالليل ويؤخِّرون الفريضةَ عن الوقتِ في أشياءَ يطول عدَدُها من حِفظِ فروعٍ وتضييع أصولٍ؛ فبحثت عن سبب ذلك، فوجدته من شيئين:

أحدُهُما: العادةُ.

والثاني: غَلَبَةُ الهوى في تحصيل المطلوبِ؛ فإنه قد يَغْلِبُ فلا يَتْرُكُ سَمعاً ولا بَصراً. ص٢٩٠

٢٨ـ مَنْ رُزِقَ قلْباً طَيِّبًا، وَلذَّةَ مناجاةٍ فليراع حالَه، ولْيَتحَرَّزْ من التغييرِ، وإنما تدوم حاله بدوام التَّقوى. ص٦٤٣

٢٩ـ مِنْ المخاطراتِ العظيمةِ تحديثُ العوامِّ بما لا تَحتمِلُهُ قلوبُهم، أَو بِما قد رَسَخَ في نفوسِهِم ضدُّه. ص٦٧٤

٣٠ـ فَالله الله أَنْ تحدِّث مخلوقاً من العوام بما لا يتحمله دون احتيال وتلطف؛ فانه لا يزول ما في نفسه، أو يخاطر المحدِّث له بنفسه. ص٦٧٥

٣١ـ من اقتصر على ما يعلمه، فظنه كافياً استبد برأيه، وصار تعظيمه لنفسه مانعاً له من الاستفادة، والمذاكرةُ تبين له خطأه، وربما كان معظماً في النفوس فلم يُتَجاسر على الرد عليه، ولو أنه أظهر الاستفادة لأهديت إليه مساويه؛ فعاد عنها. ص٢٠٦ ـ ٢٠٧

٣٢ـ غير أن اقتصار الرجل على علمه إذا مازجه نوع رؤيةٍ للنفس حبس عن إدراك الصواب، نعوذ بالله من ذلك. ص٢٠٨

٣٣ـ ينبغي للعاقل أن لا يتكلم في الخلوة عن أحد بشيء حتى يمثِّل ذلك

الشيء ظاهراً مُعلَناً به ثم ينظر فيما يجني. ص٤٥٣

٣٤_ مما أفادتني تجارِبُ الزمان أنه لا ينبغي لأحد أن يظاهر بالعداوة أحداً ما استطاع؛ لأنه ربما يحتاج إليه مهما كانت منزلته.

ولقد احتجتُ في عمري إلى ملاطفة أقوام ما خطر لي قط وقوعُ الحاجة إلى التلطف بهم. ص٣٦٩

٣٥_ اعلم أن المظاهرة بالعداوة قد تجلب أذىً من حيث لا يعلم ، لأن المظاهرَ بالعداوة كشاهر السيف ينتظر مضرباً ، وقد يلوح منه مضربٌ خفيٌّ إن اجتهد المتدرِّع في ستر نفسه ، فيغتنمه ذلك العدو.

فينبغي لمن عاش في الدنيا أن يجتهد في أن لا يظاهر بالعداوة أحداً؛ لما بيَّنْتُ من وقوع احتياج الخلق بعضهم إلى بعض ، وإقدار بعضهم على ضرر بعض.

وهذا فصل مفيد ، تَبِيْنُ فائدته للإنسان مع تقلب الزمان. ص٣٦٩ _ ٣٧٠

٣٦_ رأيت من الرأي القويم أن نفع التصانيف أكثر من نفع التعليم بالمشافهة؛ لأني أشافه في عمري عدداً من المتعلمين ، وأشافه بتصنيفي خلقاً لا تحصى ما خلقوا بعد.

ودليل هذا أن انتفاع الناس بتصانيف المتقدمين أكثر من انتفاعهم بما يستفيدون من مشايخهم. ص٣٨٦

٣٧_ فينبغي للعالم أن يتوفر على التصانيف إن وفق للتصنيف المفيد؛ فإنه ليس كل من صَنَّفَ صَنَّفَ ، وليس المقصود جمع شيء كيف كان ، وإنما هي أسرار يطلع الله _ عز وجل _ عليها من شاء من عباده ويوفقه لكشفها؛ فيجمع ما

فُرِّقَ، أو يرتب ماشُتِّتَ، أو يشرح ما أهمل، هذا هو التصنيف المفيد. ص٣٨٦

٣٨_ ومتى رزق العالمُ الغنِى عن الناس والخلوة؛ فإن كان له فهم يجلب التصانيف؛ فقد تكاملت لذته، وإن رزق فهماً يرتقي إلى معاملة الحق ومناجاته فقد تعجل دخول الجنة قبل الممات. ص٣٩٤

٣٩_ فإياك أن تساكن من آذيته، بل إن كان ولا بد فمن خارج، فما تؤمن الأحقاد. ص٤٣٢

٤٠_ ومن الخور إظهار العداوة للعدو. ص٤٣٢

٤١_ ومن أحسن التدبير التلطف بالأعداء إلى أن يمكن كسر شوكتهم، ولو لم يمكن ذاك كان اللطف سبباً في كفِّ أكفِّهم عن الأذى، وفيهم من يستحي لحسن فعلك؛ فيتغير قلبه لك. ص٤٣٢

٤٢_ رأيت أكثر الناس لا يتمالكون من إفشاء سرهم؛ فإذا ظهر؛ عاتبوا من أخبروا به.

فوا عجباً! كيف ضاقوا بحبسه ذرعاً، ثم لاموا من أفشاه؟! ص٤٣٣

٤٣_ ستر المصائب من جملة السر، لأن إظهارها يسر الشامت، ويؤلم المحب. ص٤٣٤

٤٤_ الحازم من عامل الناس بالظاهر، فلا يضيق صدره بسره؛ فإن فارقته امرأة أو صديق أو خادم _ لم يقدر أحدٌ منهم أن يقول فيه ما يكره. ص٤٣٥

٤٥_ من خلق له عقل ثاقب دلَّه على الصواب قبل الوصايا. ص٤٣٥

٤٦_ ما أبله من لا يعلم متى يأتيه الموت؛ وهو لا يستعد للقائه! ص٤٣٨

٤٧ـ لقد غفل طلاب الدنيا عن اللذة فيها ، وما اللذة فيها إلا شرف العلم ، وزهرة العفة ، وأنفة الحمَّية ، وعز القناعة ، وحلاوة الإفضال على الخلق. ص٤٤٢

٤٨ـ متى رأيت صاحبك قد غضب ، وأخذ يتكلم بما لا يصلح فلا ينبغي أن تعقد على ما يقول خِنصراً ـ أي لا تأخذ ما يقول بعين الاعتبار ـ ولا أن تؤاخذه به؛ فإن حاله حال السكران ، لا يدري ما يجري ، بل اصبر لفورته ، ولا تعول عليها؛ فإن الشيطان قد غلبه ، والطبع قد هاج ، والعقل قد استتر.

ومتى أخذت في نفسك عليه ، وأجبته بمقتضى فعله كنت كعاقل واجه مجنوناً ، أو كمفيق عاتب مغمىً عليه ، فالذنب لك.

بل انظر بعين الرحمة ، وتلمَّح تصريف القدر له ، وتَفَرَّج في لعب الطبع به ، واعلم أنه إذا انتبه ندم على ما جرى ، وعرف لك فضل الصبر.

وأقل الأقسام أن تسلمه فيما يفعل في غضبه إلى ما يستريح به.

وهذه الحالة ينبغي أن يتعلمها الولد عند غضب الوالد ، والزوجة عند غضب الزوج؛ فتتركه يشتفي بما يقول ، ولا تعول على ذلك؛ فسيعود نادما معتذراً.

ومتى قوبل على حالته ، ومقالته ، صارت العداوة متمكنة ، وجازى في الإفاقة على ما فُعِلَ في حقه وقت السكر.

وأكثر الناس على غير هذا الطريق؛ متى رأوا غضباناً قابلوه بما يقول ويعمل ، وهذا على غير مقتضى الحكمة ، بل الحكمة ما ذكرته ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ﴾. ص٤٦٨ ـ ٤٦٩

٤٩ـ كل من لا يتلمح العواقب ، ولا يستعد لما يجوز وقوعه فليس بكامل العقل ص٤٧٠

٥٠ـ فالعاقل من أخذ بالحزم في تصوير ما يجوز وقوعه، وعمل بمقتضى ذلك؛ فإن امتد به الأجل لم يضره، وإن وقع المخوف كان محترزاً. ص٤٧١

٥١ـ بقدر صعود الإنسان في الدنيا تنزل رتبته في الآخرة. ص٤٧١

٥٢ـ الكمال عزيز، والكامل قليل الوجود.

فأول أسباب الكمال: تناسب الأعضاء، وحسن صورة الباطن؛ فصورة البدن تسمى خَلْقَا، وصورة الباطن تسمى خُلُقَاً.

ودليل كمال صورة البدن: حسن الصمت، واستعمال الأدب.

ودليل صورة الباطن: حسن الطبائع، والأخلاق؛ فالطبائع: العفة، والنزاهة، والأنفةُ من الجهل، ومباعدة الشَّرَه.

والأخلاق: الكرم، والإيثار، وستر العيوب، وابتداء المعروف، والحلم عن الجاهل.

فمن رزق هذه الأشياء: رَقَّتْهُ إلى الكمال، وظهر عنه أشرف الخلال، وإن نقصت خلة أوجبت النقص. ص٤٧٧

٥٣ـ من الابتلاء العظيم إقامة الرجل في غير مقامه. ص٤٧٩

٥٤ـ وليس في الابتلاء بقوة الأشياء إلا التسليم واللجأ إلى المُقَدِّر في الفرج، فيُرَى الرجل المؤمن الحازم يثبت لهذه العظائم، ولا يتغير قلبه، ولا ينطق بالشكوى لسانه. ص٤٧٩

٥٥ـ سبحان من شغل كل شخص بفنٍّ؛ لتنام العيون. ص٤٩٣

٥٦ـ ويندر من الخلق من يُلهمه الكمالَ وطلبَ الأفضل، والجمع بين العلوم

والأعمال، ومعاملات القلوب، وتتفاوت أرباب هذه الحال؛ فسبحان من يخلق ما يشاء ويختار. ص٤٩٣_٤٩٤

٥٧_ قد تتأخر العقوبة وتأتي في آخر العمر؛ فيا طول التعثير مع كبر السن لذنوب كانت في الشباب! ص٥٠١

٥٨_ قد رُكِّبَ في الطباع حب التفضيل على الجنس؛ فما أحدٌ إلا وهو يحب أن يكون أعلى درجة من غيره.

فإذا وقعت نكبة أوجبت نزوله عن مرتبة سواه؛ فينبغي له أن يتجلد بسَتْرِ تلك النكبة؛ لئلا يُرى بعين نقص، وليتجمل المتعفف حتى لا يُرى بعين الرحمة، وليتحامل المريض لئلا يَشْمَتَ به ذو العافية. ص٥٠٤ _ ٥٠٥

٥٩_ وإنما العبد حقاً من يرضى ما يفعله الخالق؛ فإن سأل فأجيب رأى ذلك فضلاً، وإن منع رأى تصرف مالكٍ في مملوك؛ فلم يَجُلْ في قلبه اعتراض بحال. ص٥١٨

٦٠_ رأيت سبب الهموم والغموم: الإعراض عن الله _عز وجل_، والإقبال على الدنيا، وكلما فات منها شيء وقع الغمُّ لفواته. ص٥٤٢

٦١_ من البله أن تبادر عدواً أو حاسداً بالمخاصمة.

وإنما ينبغي إن عرفت حاله أن تظهر مما يوجب السلامة بينكما، إن اعتذر قبلتَ وإن أخذ في الخُصومة صفحتَ، وأريته أن الأمر قريب، ثم تبطن الحذر منه؛ فلا تثق به في حال، وتتجافاه باطناً مع إظهار المخالطة في الظاهر.

فإن أردت أن تؤذيه فأول ما تؤذيه به إصلاحك واجتهادك فيما يرفعك.

ومن أعظم العقوبة له الصفح عنه لله.

وإن بالغ في السب فبالغ في الصفح تَنُبْ عنك العوامُّ في شتمه، ويحمدك العلماء على حلمك.

وما تؤذيه به من ذلك، وتورثه به من الكمد ظاهراً وغيره في الباطن أضعافٌ وخيرٌ مما تؤذيه به من كلمة إذا قلتها سمعت أضعافها.

ثم بالخصومة تُعَلِّمُهُ أنك عدوه، فيأخذ الحذر، ويبسط اللسان.

وبالصفح يجهل ما في باطنك، فيمكنك حينئذ أن تشتفي منه.

أما أن تلقاه بما يؤذي دينك فيكون هو الذي قد اشتفى منك.

وما ظَفِر قط من ظفر به الإثم، بل الصفح الجميل.

وإنما يقع هذا ممن يرى أن تسليطه عليه: إما عقوبة لذنبٍ، أو لرفع درجةٍ، أو للابتلاءِ؛ فهو لا يرى الخصمَ، وإنما يرى القدر. ص٥٥٥ _ ٥٥٦

٦٢_ العجب من الذي أنف الذل كيف لا يصبر على جافِّ الخبز، ولا يتعرض لِمَنِ الأنذال؟! ص٥٦٦

٦٣_ وأعجب من هذا من يقدر أن يستعبد الأحرار بقليل العطاء الفاني ولا يفعل؛ فإن الحُرُّ لا يُشترى إلا بالإحسان، قال الشاعر:

تفضل على من شئت واعْنَ بأمره ... فأنت ولو كان الأميرَ أميرُه
وكن ذا غنىً عمن تشاء من الورى ... ولو كان سلطاناً فأنت نظيرُه
ومن كنت محتاجاً إليه وواقفاً ... على طمع منه فأنت أسيره

ص٥٦٧

٦٤_ تفكرتُ في سبب هداية من يهتدي، وانتباه من يتيقظ من رقاد غفلته، فوجدت السبب الأكبر اختيار الحق عز وجل لذلك الشخص؛ كما قيل: إذا أرادك لأمر هيأك له. ص٥٧٧

٦٥_ عجبت لمن يعجب بصورته، ويختال في مشيته، وينسى مبدأ أمره! ص٥٧٩

٦٦_ وعلامة إثبات الكمال في العلم والعمل: الإقبال بالكلية على معاملة الحق ومحبته، واستيعاب الفضائل كلها، وسناء الهمة في نشران الكمال الممكن. ص٥٨٤

٦٧_ عجبت لمن يتصنع للناس بالزهد، يرجو بذلك قربه من قلوبهم، وينسى أن قلوبهم بيد من يعمل له؛ فإن رضي عمله ورآه خالصاً لفت القلوب إليه، وإن لم يره خالصاً أعرض بها عنه. ص ٥٨٨

٦٨_ من ضرورة الإخلاص ألا يقصد التفات القلوب إليه؛ فذاك يحصل لا بقصده، بل بكراهته. ص ٥٨٨

٦٩_ وليعلم الإنسان أن أعمالَه كُلَّها يعلمها الخلق جملةً، وإن لم يطلعوا عليها للصالح بالصلاح وإن لم يُشاهد منه ذلك. ص٥٨٩

٧٠_ فليتق اللهَ العبدُ، ويقصد مَنْ ينفعه قصده، ولا يتشاغل بمدح عَنْ قليل يبلى هُوَ وَهُمْ. ص٥٨٩

٧١_ إياك والتأويلاتِ الفاسدةَ، والأهواءَ الغالبةَ؛ فإنك إن ترخصت بالدخول في بعضها جرَّك الأمر إلى الباقي، ولم تقدر على الخروج؛ لِموضع إلف الهوى. ص٥٩١

٧٢ـ ينبغي للعاقل أن يحترز غاية ما يمكنه؛ فإذا جرى القَدَرُ مع احترازه لَمْ يُلَمْ. ص٦٠١

٧٣ـ ما اعتمد أحدٌ أمراً إذا هم بشيء مثل التثبُّت؛ فإنه متى عمل بواقعةٍ من غير تأمل للعواقب ـ كان الغالب عليه الندم، ولهذا أُمِرَ بالمشاورة؛ لأن الإنسان بالتثبت يفتكر، فتعرِض على نفسه الأحوال، وكأنه شاور، وقد قيل: خمير الرأي خير من فطيره.

وأشد الناس تفريطاً من عمل مبادرة في واقعة من غير تثبت واستشارة، خصوصاً فيما يوجبه الغضب؛ فإنه طلب الهلاك أو الندم العظيم. ص٦٠٥

٧٤ـ فالله الله! التثبت التثبت في كل الأمور! والنظر في عواقبها! خصوصاً الغضب المثير للخصومة، وتعجيل الطلاق. ص ٦٢٥

٧٥ـ لو علم المرائي أن قلوب الذين يرائيهم بيد من يعصيه ـ لما فعل. ص٦٢٥

٧٦ـ ينبغي للإنسان أن يجتهد في جمع همه؛ لينفرد قلبُه بذكر الله ـ سبحانه وتعالى ـ وإنفاذ أمره والتهيؤ للقائه، وذلك إنما يحصل بقطع القواطع والامتناع عن الشواغل، وما يمكن قطع القواطع جملة؛ فينبغي أن يقطع ما يمكن منها. ص ٦٣٧

٧٧ـ دليل صحة نبينا محمد ﷺ أجلى من الشمس. ص ٦٥٦

٧٨ـ إني أعجب من عاقل يرى استيلاء الموت على أقاربه وجِيرانه؛ كيف يطيب عيشه؟! خصوصا إذا علت سنُّه. ص٦٦١

٧٩ـ إذا رأيت قليل العقل في أصل الوضع؛ فلا ترجُ خيره.

فأما إن كان وافر العقل، لكنه يغلب عليه الهوى؛ فارجه. ص٦٨١

٨٠_ لا ينبغي للإنسان أن يحمل على بدنه ما لا يطيق؛ فإن البدن كالراحلة إن لم يرفق بها لم تصل بالراكب. ص٧١٣

٨١_ المصيبة العظمى رضا الإنسان عن نفسه، واقتناعه بعلمه، وهذه محنة قد عمت أكثر الخلق. ص٧٢٩ _ ٧٣٠

٨٢_ تفكرت في نفسي يوماً تَفكُّرَ مُحَقِّقٍ فحاسبتها قبل أن تحاسب، ووزنتها قبل أن توزن؛ فرأيت اللطف الرباني.

فمنذ الطفولة وإلى الآن أرى لطفاً بعد لطف، وستراً على قبيح، وعفواً عما يوجب عقوبة، وما أرى لذلك إلا شكراً باللسان.

ولقد تفكرت في خطايا لو عوقبت ببعضها لهلكت سريعاً، ولو كُشِفَ للناس بعضُها لاستحييت.

ولا يعتقد معتقد عند سماع هذا أنها من كبائر الذنوب حتى يظن فيَّ ما يظن في الفساق، بل هي ذنوب قبيحة في حق مثلي وقعت بتأويلات فاسدة؛ فصرت إذا دعوتُ أقول: اللهم بحمدك وسترك عليَّ اغفرلي.

ثم طالبت نفسي بالشكر على ذلك فما وجدته كما ينبغي.

ثم أنا أتقاضى القدرَ مراداتي، ولا أتقاضى بصبر على مكروه، ولا بشكر على نعمة؛ فأخذت أنوح على تقصيري في شكر المنعم، وكوني أتلذذ بإيراد العلم من غير تحقيق عمل به، وقد كنت أرجو مقامات الكبار فذهب العمر وما حصل المقصود؛ فوجدت أبا الوفاء ابن عقيل قد ناح نحو ما نحتُ؛ فأعجبتني نياحته[1] فكتبتها ههنا.

---

١ _ يعني بكاءه على نفسه، ولومها لتقصيرها في جنب الله.

قال لنفسه :يا رعناءُ! تقوِّمين الألفاظ؛ ليقال : مناظرٌ ، وثمرة هذا أن يقال : يا مناظر ، كما يقال للمصارع : الفاره.

ضيعت أعز الأشياء وأنفسها عند العقلاء ـوهي آخر أيام العمرـ حتى شاع لك بين من يموت غداً اسم مناظر ، ثم يُنسى الذاكر والمذكور إذا درست القلوب ، هذا إن تأخر الأمر إلى موتك ، بل ربما نشأ شابٌّ أَفرَهُ منكِ ، فموَّهوا له ، وصار الاسم له ، والعقلاء[١] عن الله تشاغلوا بما إذا انطووا نَشرَهم[٢] ، وهو العمل بالعلم ، والنظر الخالص لنفوسهم.

أفٍّ لنفسي! وقد سطرت عدة مجلدات في فنون[٣] العلم ، وما عبق بها فضيلة.[٤]

إن نوظِرَتْ شَمَخَتْ ، وإن نوصِحَتْ تَعَجْرَفتْ[٥] ، وإن لاحت الدنيا طارتْ إليها طيرانَ الرَّخَمِ ، وسقطتْ عليها سقوطَ الغراب على الجيف؛ فليتها أَخَذَتْ أخذَ المضطر من الميتة ، توفر في المخالطة عيوباً تُبلى ، ولا تحتشم نَظرَ الحقِّ إليها ، وإن انكسر لها غَرَضٌ تضجرت[٦] ، فإن أَمِدَّت بالنعم اشتغلت عن المنعم.

أف والله مني ، اليوم على وجه الأرض ، وغداً تحتها.

---

١ ـ يعني بهم : الذين يعقلون عنه أمره ونهيه.

٢ ـ يعني إذا ماتوا أحياهم ، وجعل الناس يذكرونهم.

٣ ـ لعله يشير إلى كتابه (الفنون) الذي بلغ ثمانمائة مجلد كما ذكر ذلك ابن رجب الحنبلي في كتابه ذيل طبقات الحنابلة ١/ ١٥٦.

٤ ـ يعني أنه ما استفاد مما علم ، ولم يعلق به شئ من ذلك ، وهذا من تواضعه.

٥ ـ يعني تكبرت واستنكفت عن قبول الحق.

٦ ـ يعني أن نفسه تضجر وتسخط إذا لم تأتها الأمور كما تريد.

والله إن نَتَنَ جسدي بعد ثلاث تحت التراب أقل من نتن خلائقي وأنا بين الأصحاب.

والله إنني قد بهرني حِلْمُ هذا الكريم عني؛ كيف يستُرني وأنا أتهتك، ويجمعني وأنا أتشتَّت؟! وغداً يقال: مات الحبر العالم الصالح، ولو عرفوني حق معرفتي بنفسي ما دفنوني.

والله لأنادِيَنَّ على نفسي نداء الْمُكَشِّفين معائب الأعداء، ولأنوحنَّ نوح الثاكلين للأبناء؛ إذ لا نائح لي ينوح علي هذه المصائب المكتومة، والخلال المغطاة التي قد سترها مَنْ خَبَرَها، وغطَّاها من علمها.

والله ما أجد لنفسي خَلَّةً أستحسن أن أقول متوسلاً بها: اللهم اغفر لي كذا بكذا.

والله ما التفتُّ قط إلا وجدت منه ـ سبحانه ـ بِرَّاً يكفيني، ووقاية تحميني مع تسلط الأعداء، ولا عَرَضَتْ حاجةٌ فمددت يدي إلا قضاها.

هذا فعله معي وهو ربٌّ غني عني، وهذا فعلي وأنا عبد فقير إليه!!

ولا عذر لي فأقول: ما دريتُ، أوسهوتُ، والله لقد خلقني خلقاً صحيحاً سليماً، ونوَّر قلبي بالفطنة، حتى إن الغائباتِ والمكنوناتِ تنكشف لفهمي.

فواحسرتاه على عمر انقضى فيما لا يطابق الرضا، واحِرْمَاني لمقامات الرجال الفطناء، ياحسرتا على ما فرطت في جنب الله، وا شَماتَة العدو بي، وا خيبةَ من أحسن الظن بي إذا شهدت الجوارحُ عليّ، وا خذلاني عند إقامة الحجة.

سخر ـ والله ـ مني الشيطان وأنا الفطِن.

اللهم توبةً خالصةً من هذه الأقذار، ونهضةً صادقةً لتصفية ما بقي من الأكدار، وقد جئتك بعد الخمسين وأنا من خَلَقِ المتاع، وأبى العلم إلا أن يأخذ بي إلى معدن الكرم، وليس لي وسيلةٌ إلا التأسف والندم؛ فوالله ما عصيتك جاهلاً بمقدار نعمك، ولا ناسياً لما أسلفت من كرمك؛ فاغفرلي سالف فعلي». ص٧٣٦_٧٣٩.

٨٣_ قلَّ أن يجري لأحد آفة إلا ويستحقها؛ غير أن تلك الآفات المجازى بها غائبة عنا، ورأينا الجزاء وحده؛ فَسلِّم تَسْلَم، واحذر كلمة اعتراض، أو إضمار؛ فربما أخرجتك من دائرة الإسلام. ص٧٤٤ _ ٧٤٥

ثالثاً: نقولات مختارة من كتاب:

الأخلاق والسير في مداواة النفوس لابن حزم ٣٨٤ _ ٤٥٦ هـ

ط. دار الكتب العلمية

« تعريف بالكتاب »:

هذه رسالة تمثل عصارة تجارب ابن حزم في الحياة، وفي شؤون الناس، وهي _كما يقول د. إحسان عباس_: نوع من المذكرات، والخواطر التي دونت على مر الزمن، وكانت حصيلة التجربة المتدرجة.

ولعل أكثرها إنما دوِّن في سن كبيرة؛ لأنها تشير إلى الهدوء، والنضج في محاكمة الناس، والأشياء.

« مختارات من الكتاب»:

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

١_ لا تبذل نفسك إلا فيما هو أعلى منها، وليس ذلك إلا في ذات الله _ عز وجل _ في دعاء إلى حق، وفي حماية للحريم، وفي دفع هوان لم يوجبه عليك خالقك _ تعالى _ وفي نصر مظلوم.

وباذلُ نفسهِ في عرض دنيا كبائع الياقوت بالحصى. ص١٦

٢_ العاقل لا يرى لنفسه ثمناً إلا الجنة. ص١٦

٣_ لإبليس في ذم الرياء حِبَالةُ؛ وذلك أنه رب ممتنع من فعل خير؛ خوف أن يظن به الرياء. ص١٦

٤_ العقل والراحة هو اطراح المبالاة بكلام الناس، واستعمال المبالاة بكلام

الخالق ـ عز وجل ـ بل هذا باب العقل والراحة كلها. ص١٧

٥ـ من قدَّر أن يسلم من طعن الناس وعيبهم فهو مجنون. ص١٧

٦ـ ليس بين الفضائل والرذائل، ولا بين الطاعات والمعاصي إلا نفار النفس وأنسها فقط؛ فالسعيد من أنست نفسه بالفضائل والطاعات، ونفرت نفسه من الرذائل والمعاصي.

والشقي بالعكس من ذلك، وليس هاهنا إلا صنع الله ـ تعالى ـ وحفظه. ص١٨

٧ـ إذا نام المرء خرج عن الدنيا، ونسي كل سرور وكل حزن؛ فلو رتب نفسه في يقظته على ذلك ـ أيضاً ـ لسَعُدَ السعادة التامة. ص٢٠

٨ـ لو لم يكن من فضل العلم إلا أن الجهال يهابونك ويجلونك، وأن العلماء يحبونك ويكرمونك لكان ذلك سبباً في وجوب طلبه؛ فكيف بسائر فضله في الدنيا والآخرة؟

ولو لم يكن من نقص الجهل إلا أن صاحبه يحسد العلماء، ويغبط نظراءه من الجهال ـ لكان ذلك سبباً إلى وجوب الفرار عنه؛ فكيف بسائر رذائله في الدنيا والآخرة؟ ص٢١

٩ـ الباخل بالعلم ألأم من الباخل بالمال؛ لأن الباخل بالمال أشفق من فناء ما بيده، والباخل بالعلم بخل بما لا يفنى على النفقة، ولا يفارقه مع البذل. ص٢٢

١٠ـ أجلُّ العلوم ما قربك من خالقك ـ تعالى ـ وما أعانك على الوصول إلى رضاه. ص٢٢

١١ـ انظر في المال، والحال، والصحة إلى من دونك، وانظر في الدين، والعلم

والفضائل إلى من فوقك. ص ٢٣

١٢ـ وقف العقل عند أنه لا ينفع إن لم يؤيد بتوفيق في الدنيا، أو بسعد في الدنيا. ص٢٣

١٣ـ العلوم الغامضة كالدواء القوي، يصلح الأجساد القوية، ويهلك الأجساد الضعيفة، وكذلك العلوم الغامضة تزيد العقل القوي جودةً، وتصفيه من كل آفة، وتهلك ذا العقل الضعيف.

١٤ـ احرص على أن توصف بسلامة الجانب، وتَحَفَّظْ من أن توصف بالدهاء؛ فيكثر المتحفظون منك، حتى ربما أضر ذلك بك، وربما قتلك. ص٢٦

١٥ـ إذا تكاثرت الهموم سقطت كلها. ص٢٦

١٦ـ وطن نفسك على ما تكره ـ يَقِلَّ همك إذا أتاك، ويعظم سرورك ويتضاعف إذا أتاك ما تحب مما لم تكن قدَّرتَه. ص٢٦

١٧ـ طوبى لمن علم من عيوب نفسه أكثر مما يعلم الناس منها. ص٢٦

١٨ـ لا تحقر شيئاً من عمل غدٍ أن تحققه بأن تُعَجِّله اليوم وإن قلَّ؛ فإن قليل الأعمال يجتمع كثيرها، وربما أعجز أمرها عند ذلك؛ فيبطل الكل. ص٢٧ ـ ٢٨

١٩ـ لا تحقر شيئاً مما ترجو به تثقيل ميزانك يوم البعث أن تعجله الآن وإن قلَّ؛ فإنه يحط عنك كثيراً، ولو اجتمع لقذف بك في النار. ص٢٨

٢٠ـ إنما تأنس النَّفسُ بالنفس؛ فأما الجسد فمستثقل مهرومٌ به، ودليل ذلك استعجال المرء بدفن جسد حبيبه بعد أن فارقته نفسه، وأسفه لذهاب النفس، وإن كانت الجثة حاضرة بين يديه. ص٣٠

٢١_ من استخف بحرمات الله فلا تأمنه على شيء مما تشفق عليه. ص٢٩

٢٢_ لم أر لإبليس أصيد ولا أقبح من كلمتين ألقاهما على ألسنة دعاته:
إحداهما: اعتذار من أساء بأن فلاناً أساء قبله.

والثانية: استسهال الإنسان أن يسيء اليوم؛ لأنه قد أساء أمس، أو أن يسيء في وجه ما؛ لأنه قد أساء في غيره؛ فقد صارت هاتان الكلمتان عذراً مسهلتين للشر، ومدخلتين في حد ما يعرف، ويجمُل، ولا ينكر.

٢٣_ حد العفة أن تغض بصرك وجميع جوارحك عن الأجسام التي لا تحل لك؛ فما عدا ذلك فهو عهر، وما نقص حتى يُمسِك عما أحل الله _ تعالى _ فهو ضعف وعجز. ص٣٢

٢٤_ حد العدل أن تعطي من نفسك الواجب وتأخذه، وحد الجور أن تأخذه ولا تعطيه. ص٣٢

٢٥_ حد الكرم أن تعطي من نفسك الحق طائعاً، وتتجافى عن حقك لغيرك قادراً، وهو فضل _ أيضاً _. ص٣٢

٢٦_ إهمال ساعة يفسد رياضة سنة. ص٣٣

٢٧_ لو علم الناقص نقصه لكان كاملاً. ص٣٨

٢٨_ لا يخلو مخلوق من عيب؛ فالسعيد من قلت عيوبه ودقت. ص٣٨

٢٩_ استبقاك من عاتبك. ص٣٩

٣٠_ لا ترغب فيمن يزهد فيك؛ فتحصل على الخيبة والخزي. ص٣٩

٣١_ لا تزهد فيمن يرغب فيك؛ فإنه باب من أبواب الظلم، وترك مقارضة

الإحسان، وهذا قبيح. ص٣٩

٣٢_ لا تنصح على شرط القبول، ولا تشفع على شرط الإجابة، ولا تهب على شرط الإثابة، ولكن على سبيل استعمال الفضل، وتأدية ما عليك من النصيحة والشفاعة وبذل المعروف. ص٤١

٣٣_ أصول الفضائل كلها أربعة عنها تتركب كل فضيلة، وهي العدل، والفهم، والنجدة، والجود. ص٥٩

٣٤_ أصول الرذائل كلها أربعة عنها تتركب كل رذيلة وهي الجور، والجهل، والجبن، والشح. ص٥٩

٣٥_ وبالجملة فكلما نقص العقل توهم صاحبه أنه أوفر الناس عقلاً، وأكمل تمييزاً ص٧٦

٣٦_ العاقل هو من لا يفارق ما أوجبه تمييزه. ص٧٧

٣٧_ من العجائب أن الفضائل مستحسنة ومستثقلة، والرذائل مستقبحة ومستخفة. ص٨٠

٣٨_ من أراد الإنصاف فليتوهم نفسه مكان خصمه؛ فإنه يلوح له وجه تَعَسُّفه. ص٨٠

٣٩_ مِن بديع ما يقع في الحسد قول الحاسد إذا سمع إنساناً يُغْرِب في علم ما: هذا شيء بارد لم يُتَقَدَّم إليه، ولا قاله قبله أحد.

فإن سمع من يبين ما قد قاله غيره قال: هذا بارد وقد قيل قبله.

وهذه طائفة سوء قد نصبت أنفسها للقعود على طريق العلم، يصدون الناس

عنها؛ ليكثر نظراؤهم من الجهال. ص٧٧ _ ٧٨

٤٠_ لا عيب على من مال بطبعه إلى بعض القبائح ، ولو أنه أشد العيوب وأعظم الرذائل ما لم يظهره بقول أو فعل ، بل يكاد يكون أحمد ممن أعانه طبعه على الفضائل.

ولا تكون مغالبة الطبع الفاسد إلا عن قوة عقل فاضل. ص٧٨ _ ٧٩

٤١_ الثبات الذي هو صحة العَقْد ، والثبات الذي هو اللجاج مشتبهان اشتباهاً لا يفرق بينهما إلا عارف بكيفية الأخلاق.

والفرق بينهما أن اللجاج هو ما كان على الباطل ، أو ما فعله الفاعل نصراً لما نشب فيه ، وقد لاح له فساده ، أو لم يَلُحْ له صوابه ولا فساده ، وهذا مذموم ، وضده الإنصاف.

وأما الثبات الذي هو صحة العقد فإنما يكون على الحق ، أو على ما اعتقد المرء حقاً ما لم يلح له باطله ، وهذا محمود ، وضده الاضطراب.

وإنما يلام بعض هذين لأنه ضيع تدبر ما ثبت عليه ، وترك البحث عما التزم أحق هو أم باطل. ص٥٧

٤٢_ لا تكلف صديقك إلا مثل ما تبذله له من نفسك؛ فإن طلبت أكثر فأنت ظالم ، ولا تكسب إلا على شرط الفقد ، ولا تتولَّ إلا على شرط العزل ، و إلا فأنت مضرٌّ بنفسك خبيث السيرة. ص٤٤

٤٣_ إذا نصحت ففي الخلاء ، وبكلام ليِّن ، ولا تسند سب من تحدثه إلى غيرك؛ فتكون نمَّاماً؛ فإن خشَّنت كلامك في النصيحة فذلك إغراء وتنفير، وقد

قال الله_ تعالى _: ﴿ فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً ﴾ وقال رسول الله ﷺ: «ولا تُنَفِّرا».

وإذا نصحت بشرط القبول منك فأنت ظالم، ولعلك مخطئ في وجه نصحك؛ فتكون مطالباً بقبول خطئك، وبترك الصواب. ص٤٨

٤٤_ لكل شيء فائدة؛ ولقد انتفعت بمحك أهل الجهل فائدة عظيمة، وهي أنه توقد طبعي، واحتدم خاطري، وحمي فكري وتهيج نشاطي، فكان ذلك سبباً إلى تواليف عظيمة المنفعة، ولولا استثارتهم ساكني، واقتداحهم كامني ما انبعثت لتلك التواليف ص٤٨

٤٥_ لا تصاهر إلى صديق، ولا تبايعْه؛ فما رأينا هذين العملين إلا سبباً للقطيعة _ وإن ظن أهل الجهل أن فيهما تأكيداً للصلة_ فليس كذلك؛ لأن هذين العقدين داعيان كلَّ واحدٍ منهما إلى طلب حظ نفسه، والمؤثرون على أنفسهم قليل جداً؛ فإذا اجتمع طلب كل امرئ حظَّ نفسه وقعت المنازعة، ومع وقوعها فساد المروءة ص٤٨ _ ٤٩

٤٦_ الطمع أصل لكل ذل، ولكل هم، وهو خلق سوء ذميم، وضده نزاهة النفس. ص٥٢

٤٧_ من امتُحن بقرب من يكره كمن امتُحن ببعد من يحب، ولا فرق. ص٥٣

٤٨_ إذا دعا المحبُّ في السلوِّ فإجابته مضمونة، ودعوته مجابة. ص٥٣

٤٩_ اقتنع بمن عندك يقنع بك من عندك ص٥٣

٥٠_ السعيد في المحبة هو من ابتلى بمن يقدر أن يلقي عليه قفله، ولا تلحقه في مواصلته تبعة في الله _ عز وجل _ ولا ملامة الناس. ص٥٣

٥١ـ اثنان عظمت راحتهما : أحدهما في غاية المدح ، والآخر في غاية الذم ، وهما مطَّرح الدنيا ، ومطرح الحياء. ص٦٠

٥٢ـ من عجيب تدبير الله ـ عز وجل ـ للعالَم أن كل شيء اشتدت الحاجة إليه كان ذلك أهون له ، وتأمل ذلك في الماء فما فوقه.

وكل ما شيء اشتد الغنى عنه كان ذلك أعزَّ له ، وتأمل في الياقوت الأحمر فما دونه. ص٦١

٥٣ـ الخيانة في الحُرُم أشد من الخيانة في الدماء. ص٧٩

٥٤ـ غاية الخير أن يسلم عدوك من ظلمك ، ومن تركك إياه للظلم. ص٨٠

٥٥ـ قلما رأيت أمراً أمكن فضيِّع إلا فات؛ فلم يمكن بعد. ص٨١

٥٦ـ كل من غلبت عليه طبيعة فإنه ـ وإن بلغ الغاية من الحزم والحذر ـ مصروع إذا كويد من قبلها. ص٨١

٥٧ـ كثرة الريب تعلمها صاحبها الكذب، لكثرة ضرورته إلى الاعتذار بالكذب؛ فَيَضْرى عليه ، ويستسهله. ص٨٢

٥٨ـ أعدل الشهود على المطبوع على الصدق : وجهه؛ لظهور الاسترابة عليه إن وقع في كذبة ، أوهم بها.

وأعدل الشهود على الكذاب لسانه؛ لاضطرابه ، ونقض بعض كلامه بعضاً. ص٨٢

٥٩ـ اللقاء يذهب بالسخائم؛ فكأن نظر العين للعين يصلح القلوب؛ فلا يسؤك لقاء صديقك بعدوك؛ فإن ذلك يفتِّر أمره عنده. ص٨٢

رابعاً: نقولات مختارة من كتاب:

العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية ٦٦١ـ ٧٨٢

ط. المكتب الإسلامي

١ـ وكلما قوي طمع العبد في فضل الله ورحمته لقضاء حاجته، ودفع ضرورته ـ قويت عبوديته له، وحريته مما سواه؛ فكما أن طمعه في المخلوق يوجب عبوديته له فيأسه منه يوجب غنى قلبه عنه. ص٥٩

٢ـ فإن أسر القلب أعظم من أسر البدن، واستعباد القلب أعظم من استعباد البدن؛ فإن من استُعبد بدنُه، واسْتُرقَّ، وأسر ـ لا يبالي إذا كان قلبه مستريحاً من ذلك، مطمئناً، بل يمكنه الاحتيال في الخلاص.

وأما إذا كان القلب الذي هو ملك البدن رقيقاً، مستعبداً، مُتيماً لغير الله ـ فهذا هو الذل، والأسر المحض، والعبودية الذليلة لما استعبد القلب. ص٩٦

٣ـ فالحرية حرية القلب، والعبودية عبودية القلب، كما أن الغنى غنى النفس.

قال النبي ﷺ: «ليس الغنى عن كثرة العرض، وإنما الغنى غنى النفس» رواه الشيخان.

وهذا ـ لعمر الله ـ إذا كان قد استعبد قلبه صورة مباحة، فأما من استعبد قلبه صورةٌ محرمة: امرأة، أو صبي ـ فهذا هو العذاب الذي لا يدانيه عذاب. ص٩٧

٤ـ وهؤلاء عشاق الصور من أعظم الناس عذاباً، وأقلهم ثواباً؛ فإن العاشق لصورة إذا بقي قلبه متعلقاً بها، مستعبداً لها ـ اجتمع له من أنواع الشر و الفساد ما لا يحصيه إلا رب العباد، ولو سلم من فعل الفاحشة الكبرى؛ فدوام تعلق القلب

بها بلا فعل الفاحشة أشد ضرراً عليه ممن يفعل ذنباً ثم يتوب، ويزول أثره من قلبه.

وهؤلاء يشبهون بالسكارى، والمجانين كما قيل:

سُكران: سُكْرُ هوىً وسكر مدامةٍ ومتى إفاقة من به سُكرانِ

وقيل:

قالوا جننت بمن تهوى فقلت لهم: العشق أعظم مما بالمجانين

العشق لا يستفيق الدهرَ صاحبُه وإنما يصرع المجنون في حين

ص٩٨

٥ـ ومن أعظم أسباب هذا البلاء ـ يعني العشق ـ إعراض القلب عن الله؛ فإن القلب إذا ذاق طعم عبادة الله، والإخلاص له لم يكن عنده شيءٌ قطٌّ أحلى من ذلك، ولا ألذُّ، ولا أمتع، ولا أطيب.

والإنسان لا يترك محبوباً إلا بمحبوب آخر يكون أحبَّ إليه منه، أو خوفاً من مكروه؛ فالحب الفاسد إنما ينصرف عن القلب بالحب الصالح، أو بالخوف من الضرر.

قال الله ـ تعالى ـ في حق يوسف: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ يوسف ٢٤.

فالله يصرف عن عبده ما يسوؤه من الميل إلى الصور، والتعلق بها، ويصرف عنه الفحشاء بإخلاصه لله.

ولهذا يكون قبل أن يذوق حلاوة العبودية لله، والإخلاص له بحيث تغلبه نفسه على اتباع هواها؛ فإذا ذاق طعم الإخلاص، وقوي في قلبه انقهر بلا علاج. ص٩٩

٦ـ قال ـتعالىـ: ﴿إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ العنكبوت ٤٥.

فإن الصلاة فيها دفع مكروه، وهو الفحشاء والمنكر، وفيها تحصيل محبوب، وهو ذكر الله.

وحصول هذا المحبوب أكبر من دفع ذلك المكروه؛ فإن ذكر الله عبادة، وعبادة القلب مقصودة لذاتها، وأما اندفاع الشر فهو مقصود لغيره على سبيل التبع. ص٩٩ _ ١٠٠

٧_ فجعل _ سبحانه _ غض البصر، وحفظ الفرج هو أقوى تزكية للنفوس، وزكاة النفوس تتضمن زوالَ جميع الشرور من الفواحش، والظلم، والشرك، والكذب، وغير ذلك. ص١٠٠ _١٠١

٨_ فالقلب لا يصلح، ولا يفلح، ولا ينعم، ولا يسر، ولا يلتذ، ولا يطيب، ولا يسكن، ولا يطمئن إلا بعبادة ربه، وحبه، والإنابة إليه.

ولو حصل له كلُّ ما يلتذ به من المخلوقات لم يطمئن، ولم يسكن؛ إذ فيه فقر ذاتي إلى ربه من حيث هو معبوده، ومحبوبه، ومطلوبه، وبذلك يحصل له الفرح، والسرور، واللذة، والمتعة، والسكون، والطمأنينة.

وهذا لا يحصل إلا بإعانة الله له؛ فإنه لا يقدر على تحصيل ذلك له إلا الله؛ فهو دائماً مفتقر إلى حقيقة ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ فإنه لو أعين على حصول كل ما يحبه، ويطلبه، ويشتهيه، ويريده، ولم يحصل له عبادة ربه _ فلن يحصل إلا على الألم، والحسرة، والعذاب، ولن يَخْلُصَ من آلام الدنيا، ونكد عيشها إلا بإخلاص الحب له؛ بحيث يكون الله غاية مراده، ونهاية مقصوده. ص١٣٨

٩_ وبذلك يصرف الله عن أهل الإخلاص لله السوء والفحشاء كما قال

_تعالى _: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ يوسف ٢٤ فإن المخلص لله ذاق من حلاوة عبوديته ما يمنعه من محبة غيره؛ إذ ليس عند القلب السليم أحلى، ولا ألذُّ، ولا أطيب، ولا أسر، ولا أنعم من حلاوة الإيمان المتضمن عبوديته لله، وإخلاص الدين له، وذلك يقتضي انجذاب القلب إلى الله، فيصير القلب منيباً إلى الله، خائفاً منه، راغباً، راهباً. ص١٣٩ _ ١٤٠

١٠_ وإذا كان العبد مخلصاً له اجتباه ربه، فأحيا قلبه، واجتذبه إليه، فينصرف عنه ما يضاد ذلك من السوء والفحشاء، ويخاف ضد ذلك.

بخلاف القلب الذي لم يخلص لله؛ فإنه فيه طلباً، وإرادة، وحباً مطلقاً، فيهوى كلَّ ما يسنح له، ويتشبث بما يهواه، كالغصن أي نسيم مرَّ به عطفه، وأماله، فتارة تجتذبه الصور المحرمة، وغير المحرمة، فيبقى أسيراً عبداً لمن لو اتخذه هو عبداً له لكان ذلك عيباً ونقصاً وذماً.

وتارة يجتذبه الشرف والرئاسة، فترضيه الكلمة، وتغضبه الكلمة، ويستعبده من يثني عليه ولو بالباطل، ويعادي من يذمه ولو بالحق.

وتارة يستعبده الدرهم والدينار، وأمثال ذلك من الأمور التي تستعبد القلوبَ، والقلوبُ تهواها، فيتخذ إلهه هواه، ويتبع بغير هدى من الله.

ومن لم يكن خالصاً لله، عبداً له، قد صار قلبه مُعَبَّداً لربه وحده، لا شريك له بحيث يكون الله أحب إليه مما سواه، ويكون ذليلاً له خاضعاً، وإلا استعبدته الكائنات، واستولت على قلبه الشياطين، وصار فيه من السوء و الفحشاء ما لا يعلمه إلا الله، وهذا أمر ضروري لا حيلة فيه. ص١٤٠ _ ١٤٢

خامساً: نقولات مختارة من كتاب:

الاستقامة لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله

وهو من مجلدين، بتحقيق الدكتور محمد رشاد سالم رحمه الله

١ـ فإن الله أمر بالعدل في الحكم، والعدل قد يعرف بالرأي، وقد يعرف بالنص. ٨/١

٢ـ النصوص دالة على عامة الفروع الواقعة، كما يعرفه من يتحرى ذلك ويقصد الإفتاء بموجب الكتاب والسنة ودلالتها، وهذا يعرفه من يتأمل، كمن يفتي في اليوم بمائة فتيا، أو مائتين، أو ثلاثمائة، أوأكثر، أو أقل، وأنا قد جربت ذلك.

ومن تدبر ذلك رأى أهل النصوص دائماً أقدر على الإفتاء، وأنفع للمسلمين في ذلك من أهل الرأي المُحْدَث؛ فإن الذي رأيناه دائماً أن أهل رأي الكوفة من أقل الناس علماً بالفتيا، وأقلهم منفعة للمسلمين مع كثرة عددهم، وما لهم من سلطان وكثرة بما يتناولونه من الأموال الوقفية والسلطانية وغير ذلك.

ثم إنهم في الفتوى من أقل الناس منفعة، قل أن يجيبوا فيها، وإن أجابوا فقل أن يجيبوا بجواب شافٍ، وأما كونهم يجيبون بحجة فهم من أبعد الناس عن ذلك. ١٢/١

٣ـ جميع الرسل أخبرت بيوم القيامة، خلاف ما تزعم طوائف من الفلاسفة وأهل الكلام: أن المعاد الجسماني لم يخبر به إلا محمد وعيسى، ونحو ذلك. ١٧/١

٤ـ كل علم دين لا يطلب من القرآن فهو ضلال، كفاسد كلام الفلاسفة

والمتكلمة والمتصوفة والمتفقهة.

وكل عاقل يترك كتاب الله مريداً للعلو في الأرض والفساد فإن الله يقصمه؛ فالضال لم يحصل له المطلوب بل يعذب بالعمل الذي لا فائدة فيه، والجبار حصَّل لذة فقصمه الله عليها؛ فهذا عذب بإزاء لذاته التي طلبها بالباطل، وذلك يعذب بسعيه الباطل الذي لم يفده. ١/ ٢١

٥ـ والوُسْعُ: هو ما تسعه النفس، فلا تضيق عنه، ولا تعجز عنه؛ فالوسع فعْل بمعنى مفعول، كالجهد. ١/٢٧

٦ـ وإذا كان كذلك فما عجز الإنسان عن عمله واعتقاده حتى يعتقد ويقول ضده خطأً أو نسياناً ـ فذلك مغفور له. ١/٢٨

٧ـ والبدعة مقرونة بالفرقة، كما أن السنة مقرونة بالجماعة؛ فيقال: أهل السنة والجماعة، كما يقال: أهل البدعة والفرقة، وقد بسطنا هذا كله في غير هذا الموضع. ١/٤٢

٨ـ الفقه: هو معرفة أحكام أفعال العباد سواء كانت تلك المعرفة علماً أو ظناً، أو نحو ذلك. ١/٥٥

٩ـ علم الفرائض من علم الخاصة، حتى إن كثيراً من الفقهاء لا يعرفه. ١/٥٨

١٠ـ والمسلم الصادق إذا عبد الله بما شرع فتح الله عليه أنوار الهداية في مدة قريبة. ١/١٠٠

١١ـ وأما حديث السبعين ألفاً، فلم يَصِفْهُمْ بترك سائر التطبب، وإنما وصفهم بترك الاكتواء والاسترقاء، والاكتواءُ مكروهٌ، وقد نهى عنه في غير هذا الحديث لما

قال: «**وأنا أنهى أمتي عن الكي**».

والمسترقي لم يفعل شيئاً إلا اعتماده على الراقي؛ فتوكله على الله ـ سبحانه وحده لا شريك له ـ أنفع له من ذلك.

وهذا الجواب الآخر، وهو أن المسترقي يضعف توكله على الله؛ فإنه إنما طلب دعاء الغير ورقيته؛ فاعتمادُ قلبِه على الله وحده، وتوكله عليه أكمل لإيمانه، وأنفع له. ١/١٥٦ـ ١٥٧

١٢ـ أهل السنة في كل مقام أصح نقلاً وعقلاً من غيرهم. ١/٢٠٥

١٣ـ قال عبدالله بن المبارك: رب رجل في الإسلام له قدم حسن، وآثار صالحة، كانت منه الهفوة والزلة، لا يقتدى به في هفوته وزلته. ١/٢١٩

١٤ـ قال الشافعي: الشعر كلام، فحسنه كحسن الكلام، وقبيحه كقبيحه. ١/٢٤٣

١٥ـ ولهذا لما سئل القاسم بن محمد عن الغناء، فقال للسائل: يا ابن أخي أرأيت إذا ميز الله يوم القيامة بين الحق والباطل؛ ففي أيهما يجعل الغناء؟ فقال: في الباطل، قال: فماذا بعد الحق إلا الضلال؟. ١/٢٧٨

١٦ـ الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل. ١/٣٠٨

١٧ـ فإن الصلاة ـ كما ذكر الله ـ تنهى عن الفحشاء والمنكر.

وهذا مجرب محسوس يجد الإنسان من نفسه أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ويجد أهل هذا السماع «يعني الغناء» أن نفوسهم تميل إلى الفحشاء والمنكر. ١/٣١٨ ـ ٣١٩

١٨_ فإذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مستلزماً من الفساد أكثر مما فيه من الصلاح لم يكن مشروعاً. ١/ ٣٣٠

١٩_ بخلاف من أحب المحرمات مؤمناً بأنها من المحرمات؛ فإن من أحب الخمر، والغناء، والبَغِيَّ، والمخنَّثَ مؤمناً بأن الله يكره ذلك ويبغضه، فإنه لا يحبه محبة محضة، بل عقله وإيمانه يبغض هذا الفعل ويكرهه، ولكن قد غلبه هواه _ فهذا قد يرحمه الله: إما بتوبة إذا قوي ما في إيمانه من بغض ذلك وكراهته حتى دفع حب الهوى، وإما بحسنات ماحية، وإما بمصائب مكفرة، وإما بغير ذلك. ١/ ٣٤٨

٢٠_ فالرجال إذا اختلطوا بالنساء كان بمنزلة اختلاط النار والحطب. ١/ ٣٦١

٢١_ وهذا الحسن والجمال الذي يكون عن الأعمال الصالحة في القلب يسري إلى الوجه.

والقبح والشين الذي يكون عن الأعمال الفاسدة في القلب يسري إلى الوجه كما تقدم.

ثم إن ذلك يقوى بقوة الأعمال الصالحة والأعمال الفاسدة؛ فكلما كثر البر والتقوى قوي الحسن والجمال، وكلما قوي الإثم والعدوان قوي القبح والشين، حتى ينسخ ذلك ما كان للصورة من حسن وقبح؛ فكم ممن لم تكن صورته حسنة، ولكن من الأعمال الصالحة ما عظم به جماله وبهاؤه حتى ظهر ذلك على صورته؛ ولهذا يظهر ذلك ظهوراً بيّناً عند الإصرار على القبائح في آخر العمر عند قرب الموت؛ فنرى وجوه أهل السنة والطاعة كلما كبروا ازداد حسنها وبهاؤها، حتى يكون أ حدهم في كبره أحسن وأجمل منه في صغره.

ونجد وجوه أهل البدعة والمعصية كلما كبروا عظم قبحها وشينها، حتى لا يستطيع النظر إليها من كان منبهراً بها في حال الصغر، لجمال صورتها. ١/٣٦٥

٢٢ـ وشهوات الغي مُسْتَكِنَّةٌ في النفوس، فإذا حصلت القدرة قامت المحنة، فإما شقي وإما سعيد، ويتوب الله على من تاب؛ فأهل الامتحان إما أن يرتفعوا، وإما أن ينخفضوا. ١/٣٧٣

٢٣ـ وأما الجمال الخاص فهو ـ سبحانه ـ جميل يحب الجمال، والجمال الذي لِلْخُلُق من العلم، والإيمان والتقوى أعظم من الجمال الذي لِلْخَلْق وهو الصورة الظاهرة.

وكذلك الجميل من اللباس الظاهر؛ فلباس التقوى أعظم وأكمل، وهو يحب الجمال الذي للباس التقوى أعظم مما يحب الجمال الذي للباس الرِّياش، ويحب الجمال الذي للخُلُق أعظم مما يحب الجمال الذي للخَلْق. ١/٤٤١ ـ ٤٤٢

٢٤ـ وكذلك الصور الجميلة من الرجال أو النساء؛ فإن أحدهم إذا كان خلقه سيئاً بأن يكون فاجراً، أو كافراً معلناً، أو منافقاً ـ كان البغض، والمقت لِخُلُقِه، ودينه مستعلياً على ما فيه من الجمال، كما قال ـ تعالى ـ عن المنافقين: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ المنافقون ٤ .

وقال: ﴿وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ البقرة ٢٠٤.

فهؤلاء إنما أعجبه صورُهم الظاهرةُ للبصر، وأقوالُهم الظاهرةُ للسمع؛ لما فيه من الأمر المعجب.

لكن لما كانت حقائق أخلاقهم التي هي أَمْلَكُ بهم مشتملة على ما هو من

أبغض الأشياء، وأمقتها إليه _ لم ينفعهم حسن الصورة والكلام. ١/٤٤٥

٢٥_ فالذي يورثه العشق من نقص العقل، والعلم، وفساد الدين والخلق، والاشتغال عن مصالح الدين والدنيا _ أضعاف ما يتضمنه من جنس المحمود.

وأصدق شاهد على ذلك ما يعرف من أحوال الأمم، وسماع أخبار الناس في ذلك؛ فهو يغني عن معاينة ذلك وتجربته.

ومن جرب ذلك، أو عاينه اعتبر بما فيه كفاية؛ فلم يوجد قط عشق إلا وضرره أعظم من منفعته. ١/٤٥٩

٢٦_ التوبة هي جماع الرجوع من السيئات إلى الحسنات، ولهذا لا يحبط جميع السيئات إلا التوبة.

والردة هي جماع الرجوع من الحسنات إلى السيئات، ولهذا لا يحبط جميع الحسنات إلا الردة عن الإيمان. ١/٤٦٣

٢٧_ فأعظم المراتب ذكر الله بالقلب واللسان، ثم ذكر الله بالقلب، ثم ذكر الله باللسان. ٢/ ١٧

٢٨_ فبعض الواجب خير من تركه كله. ٢/٢٧

٢٩_ وكم ممن يتشوف إلى الدرجات العالية التي لا يقدر أن يقوم بحقوقها؛ فيكون وصوله إليها وبالاً في حقه.

وهذا في أمر الدنيا، كما قال _تعالى _: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنْ الصَّالِحِينَ ﴿ ٧٥ ﴾ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿ ٧٦ ﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾ التوبة ٢/٥٥

٣٠_ وغالب من يتعرض للمحن والابتلاء ليرتفع بها ينخفض بها؛ لعدم ثباته

في المحن، بخلاف من ابتلاه الحق ابتداءاً، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَتَمَنَّوْن الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾ آل عمران: ١٤٣.

وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ ﴾ الصف.

وقال النبي ﷺ: «يا عبدالرحمن لا تسأل الإمارة؛ فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها، وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها».

وقال: «إذا سمعتم بالطاعون ببلد فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منها». ٥٦/٢

٣١ـ والغلط مع حسن القصد وسلامته، وصلاح الرجل وفضله ودينه، وزهده وورعه وكراماته ـكثير جداً؛ فليس من شرط ولي الله أن يكون معصوماً من الخطأ والغلط، بل ولا من الذنوب. ٩٣/٢

٣٢ـ النفس لها أهواء وشهوات تلتذ بنيلها وإدراكها، والعقل والعلم بما في تلك الأفعال من المضرة في الدنيا والآخرة يمنعها عن ذلك، فإذا زال العقل الحافظ انبسطت النفس في أهوائها. ١٤٤/٢

٣٣ـ فاعلم أن اللذة، والسرور أمر مطلوب، بل هو مقصود كل حي. ١٤٨/٢

٣٤ـ وإذا كانت اللذة مطلوبة لنفسها فهي إنما تذم إذا أعقبت ألماً أعظم منها، أو منعت لذة خيراً منها، وتحمد إذا أعانت على اللذة المستقرة، وهو نعيم الآخرة، التي هي دائمة عظيمة. ١٥١/٢

٣٥ـ ليس كل الخلق مأمورين بالكمال، ولا يمكن ذلك فيهم، فإذا فعلوا ما

به يدخلون الجنة لم يحرم عليهم مالا يمنعهم من دخولها.

وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا أربع».

هذا مع العلم بأن الجنة يدخلها كثير من النساء والرجال أكثر من الذين كملوا من الطائفتين. ١٥٦/٢ _ ١٥٧

٣٦_ ومن العلم ما يضر بعض النفوس؛ لاستعانتها به على أغراضها الفاسدة، فيكون بمنزلة السلاح للمحارب، والمال للفاجر. ١٦٠/٢

٣٧_ من الناس من لو جنَّ لكان خيراً له، فإنه يرتفع عنه التكليف، وبالعقل يقع في الكفر والفسوق والعصيان. ١٦١/٢

٣٨_ وأما الكفار فزوال عقل الكافر خير له وللمسلمين، أما له فلأنه لا يصده عن ذكر الله وعن الصلاة، بل يصده عن الكفر والفسق، وأما للمسلمين فلأن السكر يوقع بينهم العداوة والبغضاء؛ فيكون ذلك خيراً للمؤمنين.

وليس هذا إباحة للخمر والسكر، ولكنه دفع لشر الشرين بأدناهما؛ ولهذا كنت آمر أصحابنا ألا يمنعوا الخمر عن أعداء المسلمين من التتار والكرج ونحوهم، وأقول: إذا شربوا لم يصدهم ذلك عن ذكر الله وعن الصلاة، بل عن الكفر والفساد في الأرض، ثم إنه يوقع بينهم العداوة والبغضاء، وذلك مصلحة للمسلمين، فَصَحْوُهم شرٌّ من سكرهم، فلا خير في إعانتهم على الصحو، بل قد يستحب _أو يجب_ دفع شر هؤلاء بما يمكن من سكر وغيره. ١٦٥/٢ _ ١٦٦

٣٩_ فإن الذنوب التي يبتلى بها العباد يسقط عنهم عذابها إما بتوبة تجبُّ ما

قبلها، وإما باستغفار، وإما بحسنات يذهبن السيئات، وإما بدعاء المسلمين وشفاعتهم، أو بما يفعلونه له من البر، وإما بشفاعة النبي ﷺ وغيره فيه يوم القيامة، وإما أن يكفر الله خطاياه بما يصيبه من المصائب، فقد تواتر عن النبي ﷺ أن ما يصيب المسلم من أذى شوكةٍ فما فوقها، إلا حط الله بها خطاياه كما تحط الشجرة اليابسة ورقها. ١٨٤/٢ _ ١٨٥

٤٠_ وأصناف الحسنات التي تُكَفَّر بها السيئات كثيرة أكثر من السيئات، من أنواع البر جميعها، كما جاء ذلك في الأحاديث النبوية المطابقة لكتاب الله _ تعالى_. ١٨٥/٢

٤١_ فإن الفقيه كل الفقيه لا يُؤَيِّس الناس من رحمة الله، ولا يجرِّؤهم على معاصي الله، واستحلالُ المحرماتِ كفرٌ، واليأسُ من رحمة الله كفر. ١٩٠/٢

٤٢_ ولهذا يؤمر المؤمنون أن يقابلوا السيئات بضدها من الحسنات، كما يقابل الطبيب المرض بضده، فيؤمر المؤمن بأن يصلح نفسه، وذلك بشيئين: بفعل الحسنات، وبترك السيئات، مع وجود ما ينفي الحسنات، ويقتضي السيئات وهذه أربعة أنواع.

ويؤمر أيضاً بإصلاح غيره بهذه الأنواع الأربعة بحسب قدرته وإمكانه، قال _تعالى_: ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾ العصر: ١_٣ ٢٥٩/٢

٤٣_ وإذا عظمت المحنة كان ذلك للمؤمن الصالح سبباً لعلو الدرجة، وعظيم الأجر. ٢٦٠/٢

٤٤_ فلا بد من الصبر على فعل الحسن المأمور، وترك السيئ المحظور، ويدخل في ذلك الصبر على الأذى وعلى ما يقال، والصبر على ما يصيبه من المكاره،

والصبر على البطر عند النعم، وغير ذلك من أنواع الصبر. ٢/٢٦١

٤٥ـ ولا يمكن العبد أن يصبر إن لم يكن له ما يطمئن له ويتنعم به، ويغتذي به، وهو اليقين. ٢/٢٦١

٤٦ـ ولهذا يقرن الله ـ تعالى ـ بين الصلاة والزكاة تارة، وهي الإحسان إلى الخلق، وبينها وبين الصبر تارة.

ولا بد من الثلاثة الصلاة، والزكاة، والصبر؛ لاتقوم مصلحة المؤمنين إلا بذلك في صلاح نفوسهم وإصلاح غيرهم، لاسيما كلما قويت الفتنة والمحنة؛ فإن الحاجة إلى ذلك تكون أشد، فالحاجة إلى السماحة والصبر عامة لجميع بني آدم، لا تقوم مصلحة دينهم ولا دنياهم إلا بهما. ٢/٢٦٢ ـ ٢٦٣

٤٧ـ ولما كان صلاح بني آدم لا يتم في دينهم ودنياهم إلا بالشجاعة والكرم بيَّن الله ـ سبحانه ـ أنه من تولَّى عنه بترك الجهاد بنفسه أبدل الله به من يقوم بذلك، ومن تولى عنه بإنفاق ماله أبدل الله به من يقوم بذلك، فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلاَّ تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّوهُ شَيْئاً وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ التوبة. ٢/٢٦٩

٤٨ـ وبالشجاعة والكرم في سبيل الله فضَّل الله السابقين فقال: ﴿ لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنْ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى ﴾ الحديد: ١٠. ٢/٢٧٠

٤٩ـ وملاك الشجاعة الصبر الذي يتضمن قوة القلب وثباته ولهذا قال ـ تعالى ـ : ﴿ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ البقرة: ٢٤٩.

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿ ٤٥ ﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿ ٤٦ ﴾ الأنفال.

والشجاعة ليست هي قوةَ البدن؛ فقد يكون الرجل قوي البدن ضعيف القلب، وإنما هي قوة القلب وثباته، فإن القتالَ مدارُه على قوة البدن، وصنعته للقتال، وعلى قوة القلب، وخبرته به.

والمحمود منهما ما كان بعلم ومعرفة، دون التهور الذي لا يفكر صاحبه ولا يميز بين المحمود والمذموم؛ ولهذا كان القوي الشديد هو الذي يملك نفسه عند الغضب حتى يفعل ما يصلح دون مالا يصلح.

فأما المغلوب حين غضبه فليس هو بشجاع ولا شديد. ٢/٢٧٠ ـ ٢٧١

٥٠ـ ولهذا كان الناس أربعة أصناف: من يعمل لله بشجاعة وبسماحة، فهؤلاء هم المؤمنون المستحقون للجنة.

ومن يعمل لغير الله بشجاعة وسماحة، فهذا ينتفع بذلك في الدنيا، وليس له في الآخرة من خلاق.

ومن يعمل لله لكن بلا شجاعة ولا سماحة، فهذا فيه من النفاق ونقص الإيمان بقدر ذلك.

ومن لا يعمل لله ولا فيه شجاعة ولا سماحة فهذا ليس له دنيا ولا آخرة. ٢/٢٨٥

سادساً: نقولات مختارة من كتاب:

جامع الرسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله

تحقيق د. محمد رشاد سالم ويتكون من مجلدين

١ـ ثم أخبر عنهم ـ أي عن الأبرار في سورة الإنسان ـ بإطعام الطعام على محبتهم له، وذلك يدل على نفاسته عندهم، وحاجتهم إليه.

وما كان كذلك فالنفوس به أشح، والقلوب به أعلق، واليد له أمسك؛ فإذا بذلوه في هذه الحال فهم لما سواه من حقوق العباد أبذل. ١/٧٢

٢ـ ولما كان لا سبيل إلى الصبر إلا بتعويض القلب بشيء هو أحب إليه من فوات ما يصبر على فوته ـ أمره بأن يذكر ربه ـ سبحانه ـ بكرة وأصيلا؛ فإن ذكره أعظم العون على تحمل مشاق الصبر، وأن يصبر لربه بالليل؛ فيكون قيامه بالليل عوناً على ما هو بصدده بالنهار، ومادة لقوته ظاهراً وباطناً، ولنعيمه عاجلاً وآجلاً. ١/٧٥

٣ـ والعبد هو فقير دائماً إلى الله من كل وجه؛ من جهة أنه معبوده، وأنه مستعانه، فلا يأتي بالنعم إلا هو، ولا يَصْلُح حال العبد إلا بعبادته.

وهو مذنب ـ أيضاً ـ لا بد له من الذنوب؛ فهو دائماً فقير مذنب؛ فيحتاج دائماً إلى الغفور الرحيم؛ الغفور الذي يغفر ذنوبه، والرحيم الذي يرحمه، فينعم عليه، ويحسن إليه؛ فهو دائماً بين إنعام الرب، وذنوب نفسه. ١/١١٦

٤ـ والمحبة المحمودة هي النافعة، وهي التي تجلب لصاحبها ما ينفعه وهو السعادة.

والضارة هي التي تجلب لصاحبها ما يضره، وهو الشقاء. ٢/٢٠٢

٥ـ ففي قلوب بني آدم محبة وإرادة لما يتألهونه، ويعبدونه، وذلك هو قوام قلوبهم، وصلاح نفوسهم، كما أن فيهم محبةً لما يَطْعمونه، وينكحونه، وبذلك تصلح حياتهم، ويدوم شملهم.

وحاجتهم إلى التألُّه أعظم من حاجتهم إلى الغذاء؛ فإن الغذاء إذا فُقِد يفسد الجسم، وبفقد التأله تفسد النفس. ٢/٢٤٢

٦ـ قيل: إن العشق هو الإفراط في الحب حتى يزيد على القدر الواجب؛ فإذا أفرط كان مذموماً فاسداً مفسداً للقلب والجسم كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾ الأحزاب٣٢.

فمن صار مُفْرِطاً صار مريضاً كالإفراط في الغضب، والإفراط في الفرح، وفي الحزن. ٢/٢٤٠

٧ـ وقيل: إن العشق هو فساد الإدراك، والتخيلِ، والمعرفةِ؛ فإن العاشق يخيل له المعشوق على خلاف ما هو به حتى يصيبَه ما يصيبُه من داء العشق، ولو أدركه على الوجه الصحيح لم يبلغ إلى حد العشق وإن حصل له محبة وعلاقة. ٢/٢٤٣

٨ـ ولهذا لا يبتلى بالعشق إلا من فيه نوع شرك في الدين، وضعف إخلاص لله. ٢/٢٦٦

٩ـ ولهذا تجد القوم الظالمين من أعظم الناس فجوراً، وفساداً، وطلباً لما يُرَوِّحون به أنفسهم من مسموع، ومنظور، ومشموم، ومأكول، ومشروب.

ومع هذا فلا تطمئن قلوبهم بشيء من ذلك.

هذا فيما ينالونه من اللذة، وأما ما يخافونه من الأعداء فهم أعظم الناس خوفاً، ولا عيشة لخائف.

وأما العاجز منهم فهو في عذاب عظيم، لا يزال في أسف على ما فاته، وعلى ما أصابه.

وأما المؤمن فهو _ مع مقدرته _ له من الإرادة الصالحة، والعلوم النافعة ما يوجب طمأنينة قلبه، وانشراح صدره بما يفعله من الأعمال الصالحة، وله من الطمأنينة وقرة العين ما لا يمكن وصفه.

وهو مع عجزه _ أيضاً _ له من أنواع الإرادات الصالحة، والعلوم النافعة التي يتنعم بها _ ما لا يمكن وصفه. ٢/٣٦٢ _ ٣٦٣

١٠_ وكل هذا محسوس مجرب، وإنما يقع غَلَطُ أكثرِ الناس أنه قد أحس بظاهر من لذات أهل الفجور، وذاقها، ولم يذق لذات أهل البر، ولم يخبرها. ٢/٢٦٣

١١_ فالذين يقتصدون في المآكل نعيمهم بها أكثر من نعيم المسرفين فيها؛ فإن أولئك إذا أدمنوها وألفوها لا يبقى لهذا عندهم كبير لذة مع أنهم قد لا يصبرون عنها، وتكثر أمراضهم بسببها. ٢/٢٤٠

سابعاً: نقولات مختارة من كتاب:

الفوائد للإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ ٦٩١ـ ٧٥١

ط. دار الكتاب العربي، تحقيق محمد عثمان الخشت

١ـ للعبد ستر بينه وبين الله، وستر بينه وبين الناس؛ فمن هتك الستر الذي بينه وبين الله هتك الله الستر الذي بينه وبين الناس.

٢ـ للعبد ربٌ هو ملاقيه، وبيت هو ساكنه؛ فينبغي له أن يسترضي ربه قبل لقائه، ويعمر بيته قبل انتقاله إليه.

٣ـ إضاعة الوقت أشد من الموت؛ لأن إضاعة الوقت تقطعك عن اللهِ والدارِ الآخرةِ، والموتُ يقطعك عن الدنيا وأهلها.

٤ـ الدنيا من أولها إلى آخرها لا تساوي غم ساعة؛ فكيف بغم العمر؟!

٥ـ محبوب اليوم يعقب المكروه غداً، ومكروه اليوم يعقب الراحة غداً.

٦ـ أعظم الربح في الدنيا أن تشغل نفسك كل وقت بما هو أولى بها، وأنفع لها في معادها.

٧ـ كيف يكون عاقلاً من باع الجنة بشهوة ساعة؟.

٨ـ يخرج العارف من الدنيا ولم يقض وطره من شيئين: بكائه على نفسه، وثنائه على ربه.

٩ـ المخلوق إذا خفته استوحشت منه، وهربت منه، والرب ـ تعالى ـ إذا خفته أنست به، وقربت إليه.

١٠ـ لو نفع العلم بلا عمل لما ذم الله ـ سبحانه ـ أحبار أهل الكتاب، ولو نفع العمل بلا إخلاص لما ذم المنافقين.

١١ـ دافع الخطرة؛ فإن لم تفعل صارت شهوة وهمة؛ فإن لم تدافعها صارت فعلاً، فإن لم تتداركه بضده صار عادة؛ فيصعب عليك الانتقال عنها.

١٢ـ مَنْ عَظُم وقار الله في قلبه أن يعصيه ـ وقَّره الله في قلوب الخلق أن يذلوه.

١٣ـ مثال تولُّد الطاعة، ونموِّها، وتزايدها ـ كمثل نواة غرستها، فصارت شجرة، ثم أثمرت، فأكلتَ ثمرها، وغرستَ نواها؛ فكلما أثمر منها شيء جنيت ثمره، وغرست نواه.

وكذلك تداعي المعاصي؛ فليتدبر اللبيب هذا المثال؛ فمن ثواب الحسنةِ الحسنةُ بعدها، ومن عقوبة السيئة السيئةُ بعدها.

١٤ـ ليس العجب من مملوك يتذلل لله، ولا يمل خدمته مع حاجته وفقره؛ فذلك هو الأصل.

إنما العجب من مالك يتحبب إلى مملوكه بصنوف إنعامه، ويتودد إليه بأنواع إحسانه مع غناه عنه.

١٥ـ إياك والمعاصي؛ فإنها أذلت عزَّ ﴿ اسجدوا ﴾ وأخرجت إقطاع ﴿ اسكن ﴾.

١٦ـ الذنوب جراحات، ورب جرح وقع في مقتل.

١٧ـ لو خرج عقلك من سلطان هواك عادت الدولة له.

١٨ـ إذا عرضت نظرة لا تحل فاعلم أنها مسعر حربٍ؛ فاستتر منها بحجاب ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ فقد سلمت من الأثر، وكفى الله المؤمنين القتال.

١٩ـ اشترِ نفسك؛ فالسوق قائمة، والثمن موجود.

٢٠ـ لا بد من سِنَةِ الغفلة، ورُقاد الهوى، ولكن كن خفيفَ النوم.

٢١ـ اخرج بالعزم من هذا الفناء الضيق ، المحشوِّ بالآفات إلى الفناء الرحب ، الذي فيه ما لا عين رأت؛ فهناك لا يتعذر مطلوب ، ولا يفقد محبوب.

٢٢ـ قيل لبعض العباد : إلى كم تتعب نفسك؟ قال : راحَتها أريد.

٢٣ـ القواطع محنٌ يتبين بها الصادق من الكاذب؛ فإذا خضتها انقلبت أعواناً لك ، توصلك إلى المقصود.

٢٤ـ الدنيا كامرأة بغيٍّ لا تثبت مع زوج ، وإنما تخطب الأزواج؛ ليستحسنوا عليها؛ فلا ترضَ بالدياثة.

٢٥ـ من أعجب الأشياء أن تعرفه ، ثم لا تحبه ، وأن تسمع داعِيَهُ ثم تتأخر عن الإجابة ، وأن تعرف قدر الربح في معاملته ثم تعامل غيره ، وأن تعرف قدر غضبه ثم تتعرض له ، وأن تذوق ألم الوحشة في معصيته ثم لا تطلب الأنس بطاعته ، وأن تذوق عصرة القلب في غير حديثه والحديث عنه ثم لا تشتاق إلى انشراح الصدر بذكره و مناجاته ، وأن تذوق العذاب عند تعلق القلب بغيره ، ولا تهرب منه إلى نعيم الإقبال عليه ، والإنابة إليه.

٢٦ـ و أعجب من هذا علمك أنك لا بد لك منه ، وأنك أحوج شيء إليه وأنت عنه معرض ، وفيما يبعدك عنه راغب.

٢٧ـ لما رأى المتيقظون سطوةَ الدنيا بأهلها ، وخداع الأمل لأربابه ، وتملك الشيطان ، وقياده النفوس ،

ورأوا الدولة للنفس الأمارة ـ لجئوا إلى حصن التعرض ، والالتجاء كما يلتجأ العبد المذعور إلى حرم سيده.

٢٨_ اشتر نفسك اليوم؛ فإن السوقَ قائمة، والثمن موجود، والبضائع رخيصة، وسيأتي على تلك السوق والبضائع يومٌ لا تصل فيه إلى قليل، ولا كثير ﴿ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ ﴾ ﴿ يَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ ﴾.

٢٩_ العمل بغير إخلاص، ولا اقتداء كالمسافر يملأ جرابه رملاً يثقله، ولا ينفعه.

٣٠_ إذا حملت على القلب هموم الدنيا وأثقالها، وتهاونت بأوراده التي هي قوته وحياته كنت كالمسافر الذي يحمِّل دابته فوق طاقتها، ولا يوفيها علفها؛ فما أسرع ما تقف به.

٣١_ من تلمح حلاوة العافية هانت عليه مرارة الصبر.

٣٢_ ألفتَ عجز العادة؛ فلو علت بك همتك ربا المعالي لاحت لك أنوار العزائم.

٣٣_ في الطبع شَرَهٌ، والحِمْية أَوْفَقُ.

٣٤_ البخيل فقير لا يؤجر على فقره.

٣٥_ الصبر على عطش الضر، ولا الشرب من شِرْعة مَنٍّ.

٣٦_ لا تسأل سوى مولاك؛ فسؤال العبد غير سيده تشنيع عليه.

٣٧_ غرس الخلوة يثمر الأنس.

٣٨_ استوحش مما لا يدوم معك، واستأنس بمن لا يفارقك.

٣٩_ إذا خرجت من عدوك لفظةُ سفهٍ فلا تُلْحِقْها بمثلها تُلْقِحها، ونسل الخصام مذموم.

٤٠_ أوثق غضبك بسلسلة الحلم؛ فإنه كلب إن أفلت أتلف.

٤١_ يا مستفتحاً باب المعاش بغير إقليد التقوى! كيف توسع طريق الخطايا، وتشكو ضيق الرزق؟

٤٢_ لو وقفت عند مراد التقوى لم يفتك مراد.

٤٣_ المعاصي سد في باب الكسب، وإن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه.

٤٤_ من أراد من العمال أن يعرف قدره عند السلطان فلينظر ماذا يوليه من العمل، وبأي شغل يشغله.

٤٥_ الدنيا لا تساوي نقل أقدامك إليها؛ فكيف تعدو خلفها.

٤٦_ الدنيا جيفة، والأسد لا يقف على الجيف.

٤٧_ ودع ابن عون رجلاً فقال: عليك بتقوى الله؛ فإن المتقي ليس عليه وحشه.

٤٨_ قال زيد بن أسلم: كان يقال: من اتقى الله أحبه الناس وإن كرهوا.

٤٩_ قال الثوري لابن أبي ذئب: إن اتقيت الله كفاك الناس، وإن اتقيت الناس فلن يغنوا عنك من الله شيئاً.

٥٠_ قال سليمان بن داود: أوتينا مما أوتي الناس، ومما لم يؤتوا، وعلِّمنا مما علِّم الناس ومما لم يعلموا؛ فلم نجد شيئاً أفضل من تقوى الله في السر والعلانية، والعدل في الغضب والرضا، والقصد في الفقر والغنى.

٥١_ جمع النبي ﷺ بين تقوى الله، وحسن الخلق؛ لأن تقوى الله تصلح ما بين العبد وبين ربه، وحسن الخلق يصلح ما بينه وبين خلقه؛ فتقوى الله توجب له محبة الله، وحسن الخلق يدعو الناس إلى محبته.

٥٢_ من عرف نفسه اشتغل بإصلاحها عن عيوب الناس.

٥٣_ من عرف ربه اشتغل به عن هوى نفسه.

٥٤_ أخسر الناس صفقة من اشتغل عن الله بنفسه، بل أخسر منه من اشتغل بالناس عن نفسه.

٥٥_ ما ضُرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب، والبعد عن الله.

٥٦_ خلقت النار؛ لإذابة القلوب القاسية.

٥٧_ أبعد القلوب عن الله القلب القاسي.

٥٨_ إذا قسا القلب قحطت العين.

٥٩_ قسوة القلب من أربعة أشياء، إذا جاوزت قد الحاجة: الأكل، والنوم، والكلام، والمخالطة.

٦٠_ كما أن البدن إذا مرض لم ينفع فيه الطعام والشراب _ فكذلك القلب إذا مرض بالشهوات لم تنجع فيه المواعظ.

٦١_ من أراد صفاء قلبه فليؤثر الله على شهوته.

٦٢_ القلوب المتعلقة بالشهوات محجوبة عن الله بقدر تعلقها بها.

٦٣_ القلوب آنية الله في أرضه، فأحبه إليه أرقها، وأصلبها، وأصفاها.

٦٤_ خرابُ القلب من الأمن والغفلة، وعمارتُه من الخشية والذكر.

٦٥_ من وطن قلبه عند ربه سكن واستراح، ومن أرسله في الناس اضطرب واشتد به القلق.

٦٦_ القلب يمرض كما يمرض البدن، وشفاؤه في التوبة والحمية، ويصدأ كما تصدأ المرآة، وجلاؤه بالذكر، ويعرى كما يعرى الجسم، وزينته التقوى، ويجوع ويظمأ كما يجوع البدن، وطعامه وشرابه المعرفة، والتوكل، والمحبة، والإنابة.

٦٧ـ للقلب ستة مواطن يجول فيها لا سابع لها: ثلاثة سافلة، وثلاثة عالية؛ فالسافلة دنيا تتزين له، ونفس تحدثه، وعدوٌ يوسوس له؛ فهذه مواطن الأرواح السافلة التي لا تزال تجول فيها.

والثلاثة العالية علم يتبين له، وعقل يرشده، وإله يعبده، والقلوب جوالة في هذه المواطن.

٦٨ـ إذا استغنى الناس بالدنيا فاستغن أنت بالله، وإذا فرحوا بالدنيا فافرح أنت بالله، وإذا أَنِسُوا بأحبابهم فاجعل أنسك بالله.

٦٩ـ الصبر عن الشهوة أسهل من الصبر على ما توجبه الشهوة؛ فإنها إما أن توجب ألماً وعقوبةً، وإما أن تقطع لذة أكمل منها، وإما تضيع وقتاً إضاعتُه حسرةٌ وندامة، وإما أن تثلم عرضاً توفيرُه أنفعُ للعبد من ثلمه، وإما أن تذهب مالاً بقاؤه خير له من ذهابه، وإما أن تضع قدراً وجاهاً قيامُه خير من وضعه، وإما أن تسلب نعمة بقاؤها ألذ و أطيب من قضاء الشهوة، وإما أن تطرق لوضيع إليك طريقاً لم يكن يجدها قبل ذلك، وإما أن تجلب هماً، وغماً، وحزناً، وخوفاً لا يقارب لذة الشهوة، وإما أن تنسي علماً ذكره ألذ من نيل الشهوة، وإما أن تشمت عدواً، أو تحزن ولياً، وإما أن تقطع الطريق على نعمة مقبلة، وإما أن تحدث عيباً يبقى صفة لا تزول؛ فإن الأعمال تورث الصفات، والأخلاق.

٧٠ـ للعبد بين يدي الله موقفان: موقف بين يديه في الصلاة، وموقف بين يديه يوم لقائه؛ فمن قام بحق الموقف الأول هون عليه الموقف الآخر، ومن استهان بهذا الموقف، ولم يوفِّه حقَّه شدد عليه ذلك الموقف، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمِنْ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَؤُلاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً ﴾.

ثامناً: نقولات مختارة من كتاب:

إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان للإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله

تحقيق و تعليق مجدي فتحي السيد

١ـ وقد اختلفت عبارات الناس في معنى القلب السليم، والأمرُ الجامع لذلك أنه الذي قد سلم من كل شهوة تخالف أمر الله ونهيه، ومن كل شبهة تعارض خبره. ص ١١

٢ـ فالقلب السليم: هو الذي سلم من أن يكون لغير الله فيه شرك بوجه ما، بل لقد خلصت عبوديته لله ـ تعالى ـ. ص ١١

٣ـ القلب الميت: هو الذي لا حياة فيه، بل هو لا يعرف ربه، ولا يعبده بأمره وما يحبه ويرضاه.

بل هو واقف مع شهواته ولذاته ولو كان فيها سخط ربه وغضبه؛ فهو لا يبالي إذا فاز بشهوته وحظه رضي ربه أم سخط. ص ١٢

٤ـ القلب المريض: قلب له حياة، وبه علة؛ فله مادتان: تمده هذه مرة، وهذه أخرى، وهو لما غلب عليه منهما. ص ١٣

٥ـ فالقلب الأول حيٌّ مخبتٌ ليِّن واعٍ، والثاني يابس ميت، والثالث مريض؛ فإما إلى السلامة أدنى، وإما إلى العطب أدنى. ص ١٣

٦ـ الفتن التي تُعرض على القلوب هي أسباب مرضها، وهي فتن الشهوات، وفتن الشبهات؛ فتن الغي والضلال، فتن المعاصي والبدع، فتن الظلم والجهل؛ فالأولى توجب فساد القصد والإرادة، والثانية توجب فساد العلم والاعتقاد. ص ١٥

٧ـ فأهل الإيمان لهم شرح الصدر واتساعه وانفساحه، وأهل الضلال لهم ضيق الصدر والحرج. ص ٢٧

٨ـ حياةُ القلبِ وإضاءتُه مادةُ كلِّ خير فيه، وموته وظلمته مادة كل شر فيه. ص ٢٧

٩ـ فليس في الكائنات شيء غير الله ـعز وجل ـ يسكن القلب إليه، ويطمئن به، ويأنس به، ويتنعم بالتوجه إليه. ص ٣٥

١٠. فقر العبد إلى أن يعبد الله ـ سبحانه ـ وحده لا يشرك به شيئاً ليس له نظير فيقاس به، لكن يشبه من بعض الوجوه حاجة الجسد إلى الغذاء والشراب والنّفَس؛ فيقاس بها، لكن بينهما فروق كثيرة. ص ٣٥

١١. وليس المقصودُ بالعباداتِ والأوامرِ المشقةَ والكلفةَ بالقصد الأول، وإن وقع ذلك ضمناً وتبعاً في بعضها؛ لأسباب اقتضته لا بد منها، وهي لوازم هذه النشأة.

فأوامره ـ سبحانه ـ وحقه الذي أوجبه على عباده، وشرائعه التي شرعها لهم ـ هي قرة العيون، ولذة القلوب، ونعيم الأرواح، وسرورها، وبها شفاؤها، وسعادتها، وفلاحها، وكمالها في معاشها، ومعادها.

بل لا سرور لها، ولا لذة، ولا نعيم في الحقيقة إلا بذلك كما قال ـ تعالى ـ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾. ص ٣٦

١٢. فالمخلوق لا يقصد منفعتك بالقصد الأول، بل إنما يقصد انتفاعه بك.

والرب _ تعالى _ إنما يريد نفعك لا انتفاعه بك، وذلك منفعة محضة لك خالصة من المضرة.

بخلاف إرادة المخلوق نفعك؛ فإنه يكون فيه مضرة عليك، ولو بتحمل مِنته.

فتدبَّر هذا؛ فإن ملاحظته تمنعك من أن ترجو المخلوق، أو تعامله دون الله _ عز وجل _ أو تطلب منه نفعاً، أو دفعاً، أو تعلق قلبك به. ص ٤٧

١٣. فالقلب الطاهر؛ لكمال حياته ونوره، وتخلُّصُه من الأدران والخبائث لا يشبع من القرآن، ولا يتغذى إلا بحقائقه، ولا يتداوى إلا بأدويته، بخلاف القلب الذي لم يطهره الله _ تعالى _ فإنه يتغذى من الأغذية التي تناسبه بحسب ما فيه من النجاسة؛ فإن القلب النجس كالبدن العليل المريض، لا تلائمه الأغذية التي تلائم الصحيح. ص ٦٣

١٤. وسألت شيخ الإسلام _ يعني ابن تيمية _ عن معنى دعاء النبي ﷺ: «اللهم طهرني من خطاياي بالماء والثلج و البرد».

كيف يطهر الخطايا بذلك؟ وما فائدة التخصيص بذلك؟ وقوله في لفظ آخر «والماء البارد» والحار أبلغ في الإنقاء؟

فقال: الخطايا توجب للقلب حرارة، ونجاسة، وضعفاً؛ فيرتخي القلب، وتضطرم فيه نار الشهوة وتنجسه؛ فإن الخطايا والذنوب له بمنزلة الحطب الذي يمد النار ويوقدها؛ ولهذا كلما كثرت الخطايا اشتدت نارُ القلب وضعفُه، والماء يغسل الخَبث، ويطفئ النار، فإن كان بارداً أورث الجسم صلابة وقوة، فإن كان معه

ثلج وبرد كان أقوى في التبريد، وصلابة الجسم وشدتِه؛ فكان أذهب لأثر الخطايا.

هذا معنى كلامه، وهو محتاج إلى مزيد بيان وشرح. ص ٦٤

١٥. وقريب من هذا أنه ﷺ كان إذا خرج من الخلاء قال: «غفرانك».

وفي هذا من السر ـ والله أعلم ـ أن النجوَ يثقل البدن، ويؤذيه باحتباسه، والذنوبَ تثقل القلب، وتؤذيه باحتباسها فيه؛ فهما مؤذيان مضران بالبدن والقلب؛ فحمد اللهَ عند خروجه على خلاصه من هذا المؤذي لبدنه، وخفةِ البدن وراحتِه، وسأل أن يخلصه من المؤذي الآخر، ويريح قلبه منه ويخففه.

وأسرار كلماته، وأدعيته ﷺ فوق ما يخطر بالبال. ص ٦٦

١٦. فالأعيان النجسة إما أن تؤذي البدن أو القلب، أو تؤذيهما معاً.

والنجس قد يؤذي برائحته، وقد يؤذي بملابسته، وإن لم تكن له رائحة كريهة.

و المقصود أن النجاسة تارة تكون محسوسة ظاهرة، و تارة تكون معنوية باطنة، فيغلب على الروحِ والقلبِ الخبثُ والنجاسةُ، حتى إن صاحبَ القلبِ الحي لَيَشُمُّ من تلك الروح والقلب رائحة خبيثة يتأذى بها، كما يتأذى من شم رائحة النتن، ويظهر ذلك كثيراً في عرقه، حتى ليوجد لرائحة عرقه نتناً؛ فإن نتن الروح والقلب يتصل بباطن البدن أكثر من ظاهره.

والعرق يفيض من الباطن؛ ولهذا كان الرجل الصالح طيب العرق، وكان رسول الله ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ أطيب الناس عرقاً.

قالت أم سليم وقد سألها رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ عنه وهي تلتقطه: «هو من أطيب الطيب».

فالنفس النجسة الخبيثة يقوى خبثها ونجاستها حتى يبدو على الجسد.

والنفس الطيبة بضدها؛ فإذا تجردت، وخرجت من البدن وجد لهذه كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض، ولتلك كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض. ص ٦٧

١٧. فلا تجد مشركاً قط إلا وهو متنقص لله ـ سبحانه ـ وإن زعم أنه يعظمه بذلك.

كما أنك لا تجد مبتدعاً إلا وهو متنقص للرسول ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ وإن زعم أنه معظم له بتلك البدعة؛ فإنه يزعم أنها خير من السُّنة، وأولى بالصواب، أو يزعم أنها هي السنة إن كان جاهلاً مقلداً، وإن كان مستبصراً في بدعته فهو مشاق لله ورسوله. ص ٦٩

١٨. فالبصير الصادق لا يستوحش من قلة الرفيق، ولا من فقده إذا استشعر قَلْبُه مرافقَة الرعيل الأول الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، فَتَفَرُّدُ العبد في طريق طلبه دليلٌ على صدق الطلب. ص ٧٦

١٩. فالنفس إذا سكنت إلى الله، واطمأنت بذكره، وأنابت إليه، واشتاقت إلى لقائه، وأنست بقربه؛ فهي مطمئنة، وهي التي يقال لها عند الوفاة: ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ﴾. ص ٨٤

٢٠. والنفس قد تكون تارة أمَّارة، وتارةً لوامة، وتارة مطمئنة.

بل في اليوم الواحد والساعة الواحدة يحصل منها هذا وهذا، والحكم للغالب

عليها من أحوالها؛ فكونها مطمئنةً وصفُ مدحٍ لها، وكونها أمارةً بالسوء وصفُ ذمٍّ لها، وكونها لوامةً ينقسم إلى المدح والذم بحسب ما تلوم عليه. ص ٨٦

٢١. ويعينه على هذه المراقبة والمحاسبة معرفة أنه كلما اجتهد فيها اليوم استراح منها غداً إذا صار الحساب إلى غيره، وكلما أهملها اليوم اشتد عليها الحساب غداً. ص ٨٩

٢٢. فكل نَفَسٍ من أنفاس العمر جوهرة نفيسةٌ لا حظ لها يمكن أن يشترى بها كنز من الكنوز لا يتناهى نعيمه أبد الآباد؛ فإضاعة هذه الأنفاس، أو اشتراء صاحبها بها ما يجلب هلاكه ـ خسران مبين، لا يسمح بمثله إلا أجهل الناس، وأحمقهم وأقلهم عقلاً. ص ٨٩

٢٣. وذكر ابن أبي الدنيا عن الخلد بن أيوب قال: «كان راهب في بني إسرائيل في صومعة منذ ستين سنة؛ فَأُتِيَ في منامه، فقيل له: إن فلاناً الإسكافي خير منك ـ ليلة بعد ليلة ـ فأتى الإسكافي، فسأله عن عمله فقال: إني رجل لا يكاد يمر بي أحد إلا ظننت أنه في الجنة وأنا في النار؛ فَفَضُل على الراهب بإزرائه على نفسه». ص ٩٥

٢٤. فالنفس داعية إلى المهالك، معينة للأعداء، طامحة إلى كل قبيح، متبعة لكل سوء، فهي تجري بطبعها في ميدان المخالفة. ص ٩٥

٢٥. ومن كيده ـ أي الشيطان ـ للإنسان: أنه يورده الموارد التي يخيل إليه أن فيها منفعته، ثم يصدره المصادر التي فيها عطبه، ويتخلى عنه ويسلمه ويقف يشمت به، ويضحك منه، فيأمره بالسرقة والزنا والقتل، ويدل عليه، ويفضحه. ص ١١٧

٢٦. ومن كيده العجيب: أنه يُشَامُّ النَّفْسَ، حتى يعلم أي القوتين تغلب عليها: قوة الإقدام والشجاعة، أم قوة الانكفاف والإحجام والمهانة؟.

فإن رأى الغالب على النفس المهانة والإحجام أخذ في تثبيطه وإضعاف همته وإرادته عن المأمور به، وثقّله عليه، فهوَّن عليه تركه، حتى يتركه جملة، أو يقصر فيه، ويتهاون به.

وإن رأى الغالب عليه قوة الإقدام، وعلو الهمة أخذ يقلل عنده المأمور به، ويوهمه أنه لا يكفيه، وأنه يحتاج معه إلى مبالغة وزيادة فيقصِّر بالأول، ويتجاوز بالثاني، كما قال بعض السلف: «ما أمر الله ـ تعالى ـ بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان: إما إلى تفريط وتقصير، وإما إلى مجاوزة وغلو، ولا يبالي بأيهما ظفر». ص ١٢٤

٢٧. فالفتنة قسمت الناس، إلى صادق وكاذب، ومؤمن ومنافق، وطيب وخبيث؛ فمن صبر عليها كانت رحمة في حقه، ونجا بصبره من فتنة أعظم منها، ومن لم يصبر عليها وقع في فتنة أشد منها. ص ٥٣٢

٢٨. فالعبد في هذه الدار مفتون بشهواته ونفسه الأمارة، وشيطانه المغوي المزين، وقرنائه وما يراه، ويشاهده، مما يعجز صبره عنه.

ويتفق مع ذلك ضعفُ الإيمانِ واليقينِ، وضعفُ القلب، ومرارةُ الصبر، وذوقُ حلاوةِ العاجل، وميلُ النفسِ إلى زهرة الحياة الدنيا، وكونُ العوضِ مؤجلاً في دار أخرى غير هذه الدار التي خلق فيها، وفيها نشأ؛ فهو مكلف بأن يترك شهوته الحاضرة المشاهدة لغيب طُلِب منه الإيمانُ به:

فوالله لولا الله يسعد عبده بتوفيقه والله بالعبد أرحم

لما ثبت الإيمان يوماً بقلبه على هذه العلات والأمر أعظم
ولا طاوعته النفس في ترك شهوة مخافة نار جمرها يتضرم
ولا خاف يوماً من مقام إلهه عليه بحكم القسط إذ ليس يظلم

ص ٥٣٣_ ٥٣٤

٢٩. وقد جاء في حديث مرسل: «إن الله يحب البصر النافذ عند ورود الشبهات، ويحب العقل الكامل عند حلول الشهوات».

فبكمال العقل والصبر تدفع فتنة الشهوة، وبكمال البصيرة واليقين تدفع فتنة الشبهة، والله المستعان. ص ٥٣٧

٣٠. إذا سلم العبد من فتنة الشبهات والشهوات حصل له أعظم غايتين مطلوبتين، بهما سعادته وفلاحه وكماله، وهما الهدى، والرحمة. ص ٥٣٧

٣١. وهكذا الرجل كلما اتسع علمه اتسعت رحمته، وقد وسع ربنا كل شيء رحمةً وعلماً؛ فوسعت رحمته كل شيء، وأحاط بكل شيء علماً؛ فهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها، بل هو أرحم بالعبد من نفسه، كما هو أعلم بمصلحة العبد من نفسه.

والعبد لجهله بمصالح نفسه وظلمه لها يسعى فيما يضرها ويؤلمها، وينقص حظها من كرامته وثوابه، ويبعدها من قربه، وهو يظن أنه ينفعها ويكرمها، وهذا غاية الجهل والظلم، والإنسان ظلوم جهول. ص ٥٤٣

٣٢. وكان سقراط يقول: إذا أقبلت الحكمة خدمت الشهوات العقول، وإذا أدبرت خدمت العقول الشهوات.

وقال: لا تكرهوا أولادكم على آثاركم؛ فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم. ص ٦٢٢

تاسعاً : نقولات مختارة من كتاب :

الحرية في الإسلام للشيخ محمد الخضر حسين

طبعة دار الاعتصام وهو محاضرة ألقاها المؤلف مساء يوم السبت ١٣٢٤/٤/١٧هـ وهو يومئذ القاضي بمدينة بنزرت بتونس.

«**نبذة في سيرة المؤلف**» :

ولد رحمه الله في بلدة نفطة بتونس عام ١٢٩٣ هـ من أسرة علم وصلاح ، ولما بلغ الثانية عشرة من عمره انتقل مع والده إلى العاصمة تونس ، والتحق بطلاب العلم بجامعة الزيتونة؛ وحصل على الشهادة العالية في العلوم الدينية والعربية.

أوتي بياناً ساحراً ، وقلماً سيالاً ، قلما يوجد له نظير في العصور المتأخرة ، بل إنه يضارع أرباب البيان الأوائل.

وكان هادئ الطبع ، حسن المعشر ، لين العريكة ، جم التواضع ، وكان متفنناً في علوم الشريعة واللغة.

أصدر مجلة السعادة العظمى عام ١٣٢١ ، وتولى القضاء في مدينة بنززت ، ولم يَرُقْه ميدان القضاء ، فتركه إلى التدريس في جامعة الزيتونة.

حكم عليه الاستعمار الفرنسي بالإعدام ، فهاجر إلى دمشق ، ثم إلى مصر ، وانضم إلى علماء الأزهر ، وأخيراً عام ١٩٥٢ عُيِّن إماماً لمشيخة الأزهر ، فقام به خير قيام ، وهو آخر عالم تولى الأزهر بترشيح العلماء.

توفي عام ١٣٧٧ هـ ودفن بالمقبرة التيمورية.

خلف آثاراً كثيرة منها : رسائل الإصلاح ، ومحاضرات إسلامية ، ونقض كتاب

الشعر الجاهلي، ونقض كتاب الإسلام وأصول الحكم وغير ذلك.

وله ديوان شعر اسمه «**خواطر الحياة**»، وله كتاب «**الحرية في الإسلام**» وهو الكتاب الذي بين أيدينا نقولٌ منه.

وقد كتبه مبيناً مفهوم الحرية الحقة، موضحاً قسوة الاستبداد خصوصاً في وقته حيث كان الاستعمار محكماً قبضته على كثير من البلدان العربية الإسلامية.

ولا تكاد تظفر بكتاب مثله في هذا الباب من جهة قوة التحرير، وشدة الأسر، وجزالة الأسلوب.

هذه نبذة عن سيرته، وتفصيل سيرته موجود في الكتب التي ترجمت له، ومنها كتاب:

«**الصداقة بين العلماء**» لكاتب هذه الأوراق

«**نقولات من كتاب الحرية في الإسلام**»:

١ـ وإذا علمت نفسٌ طاب عنصرها، وشرف وجدانها أن مطمح الهمم إنما هي غاية، وحياة وراء حياتها الطبيعية ـ لم تقف بسعيها عند حد غذاء يقوتها، وكساء يسترها، ومسكن تأوي إليه.

بل لا تستفيق جهدها، ويطمئن بها قرارها إلا إذا بلغت مجداً شامخاً يصعد بها إلى أن تختلط بكواكب الجوزاء. ص١٠

٢ـ يقوم فسطاط الحرية على قاعدتين عظيمتين هما: المشورة، والمساواة؛ فبالمشورة تتميز الحقوق، وبالمساواة ينتظم إجراؤها، ويطرد نفاذها.

وكل واحدة من هاتين القاعدتين رفع الإسلام سمكها، وسواها. ص ١٨

٣_ وهكذا ما ساد الأدب، وانتشرت الفضيلة بين أمة إلا اتبعوا شرعة الإنصاف من عند أنفسهم، والتحفوا برداء الصدق والأمانة بمجرد بث النصيحة، والموعظة الحسنة، فيخفت ضجيج الضارعين، وصخب المبطلين، ولا تكاد تسمع لهما في أجواف المحاكم حسيساً. ص٢٠

٤_ أذن الله له ﷺ بالاستشارة وهو غني عنها بما يأتيه من وحي السماء؛ تطييباً لنفوس أصحابه، وتقريراً لسنة المشاورة للأمة من بعده. ص٢١

٥_ وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه من العلم بقوانين الشريعة، والخبرة بوجوه السياسة في منزلة لا تطاولها سماء. [١]

ومع هذا لا يبرم حكماً في حادثة إلا بعد أن تتداولها آراء جماعة من الصحابة.

وإذا نَقَل له أحدُهم نصاً صريحاً ينطبق على الحادثة قال: «الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ عن نبينا». ص٢١

٦_ لا تكون قاعدة الشورى من نواصر الحرية وأعوانها إلا إذا وضع حجرها الأول على قصد الحنان والرأفة بالرعية.

وأما المشاركة في الرأي وحدها _ ولا سيما رأي من لا يطاع _ فلا تكفي في قطع دابر الاستبداد. ص٢٥

١_ هذا تضمين لبيت البوصيري:

كيف ترقى رقيك الأنبياء   يا سماء ما طاولتها سماء

والشيخ محمد الخضر رحمه الله من أرباب البيان، خصوصاً في باب الاقتباس و التضمين؛ فهو فارس لا يشق له غبار في هذا الميدان، وسترى نماذج لذلك فيما سيأتي.

٧ـ وأهم فوائد المشورة تخليص الحق من احتمالات الآراء.

وذهب الحكماء من الأدباء في تصوير هذا المغزى وتمثيله في النفوس إلى مذاهب شتى ، قال بعضهم:

إذا عنّ أمر فاستشر فيه صاحباً ... وإن كنت ذا رأي تشير على الصحب

فإني رأيت العين تجهل نفسها ... وتدرك ما قد حلَّ في موضع الشهب

وقال آخر:

اقرن برأيك رأي غيرك واستشر ... فالحق لا يخفى على الآثنين

والمرءُ مرآةٌ تريهِ وجهه ... ويرى قفاه بجمع مرآتين

وقال آخر:

الرأي كالليل مسوداً جوانبه ... والليل لا ينجلي إلا بمصباح

فاضمم مصابيحَ آراءِ الرجال إلى ... مصباحِ رأيك تزددْ ضوءَ مصباحِ

ص٢٥

٨ـ ومن فوائد الشورى استطلاع أفكار الرجال ، ومعرفة مقاديرها؛ فإن الرأي يمثِّل لك عقل صاحبه كما تمثل لك المرآةُ صورةَ شخصه إذا استقبلها. ص٢٦

٩ـ الحرية في الأموال هي إطلاق التصرف لأصحابها يذهبون في اكتسابها ، والتمتع بها على الطريق الوسط دون أن تلم بها فاجعة الاغتصاب ، أو تخطفها خائنة كيد واحتيال.ص٣١

١٠ـ فلا حرج في جمع الدنيا من الوجوه المباحة ما لم يكن صاحبها عن الواجبات في شغل شاغل.

وقد ذكر الله ـتعالى ـ التجارة في معرض الحط من شأنها حيث شغلت عن طاعة في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِماً قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنْ اللَّهْوِ وَمِنْ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾. الجمعة: ١١

ولما رجعوا عن صنيعهم، وأخذوا بأدب الشريعة في إيثار الواجبات الدينية، وعدم الانقطاع عنها إلى الاشتغال بالتجارة ونحوها ـ ذكرها، ولم يهضم من حقها شيئاً، فقال ـ تعالى ـ: ﴿ رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾. النور: ٣٧

فأثبت لهؤلاء الكُمَّل أنهم تجار وباعة، ولكنهم لم يشتغلوا بضروب منافع التجارة عن فرائض الله، وهذا قول المحققين في الآية. ص٣٢

١١ـ بيد أن الشريعة أمرت العامل بأن يكون قلبه حال عمله مطوياً على سراج من التوكل والتفويض؛ فإن اعتماد القلب على قدرة الله وكرمه يستأصل جراثيم اليأس، ومنابت الكسل، ويشد ظهر الأمل الذي يلج به الساعي أغوار البحار العميقة، ويقارع به السباع الضارية في فلواتها. ص٣٣

١٢ـ لم تغادر الشريعة صغيرة ولا كبيرة من وجوه التصرفات في الأموال إلا أحصتها، وعلقت عليها حكماً عادلاً. ٣٤

١٣ـ كما أذن الإسلام في اكتساب الأموال، واستثمار أرباحها من وجوهها المعتدلة أذن في الاستمتاع بها، وترويح الخاطر بنعيمها؛ شريطة الاقتصاد. ٣٧

١٤ـ وأما الآيات الواردة في سياق التزهيد، والحط من متاع الحياة الدنيا فلا يقصد منها ترغيب الإنسان؛ ليعيش مجانباً للزينة، ميت الإرادة عن التعلق بشهواته

على الإطلاق.

وإنما يقصد منها ـ فيما نفهمه ـ حكم أخرى كتسلية الفقراء الذين لا يستطيعون ضرباً في الأرض، ومَنْ قَصُرَتْ أيديهم عن تناولها؛ لئلا تضيق صدورُهم على آثارها أسفاً.

ومنها تعديل الأنفس الشاردة، وانتزاعُ ما في طبيعتها من الشَّرَهِ، والطمع؛ لئلا يخرجا بها عن قصد السبيل، ويتَطَوَّحا بها في الاكتساب إلى طرق غير لائقة.

فاستصغارُ متاع الدنيا، وتحقيرُ لذائذها في نفوس الناس يرفعهم عن الاستغراق فيها، ويُكْبِرُ بهممهم عن جعلها قبلةً يولون وجوههم شطرها حيثما كانوا.

وقد بين لنا العيان أن الإنسان متى عكف على ملاذِّ الحياة، ولم يَصْحُ فؤاده عن اللهو بزخارفها ماتت عواطفه، ونسي، أوتناسى من أين تؤتى المكارم، والمروءة، ودخل مع الأنعام في حياتهم السافلة. ٣٨

١٥ـ وأما ما ثبت عن بعض السلف من نبذ الزينة، والإعراض عن العيش الناعم عند القدرة عليه، أو في حال وجوده ـ فلا يريدونه قربة بنفسه، ولكن يبتغون به الوسيلة إلى رياضة النفس، وتدريبها على مخالفة الشهوات؛ لتستقر تحت طوع العقل بسهولة، وتتمكن من طرح أهوائها الزائغة بدون كلفة؛ فلو وثق الإنسان من نفسه بحسن الطاعة لم تكن في مجانبته للطيبات مزية ولا مؤاخذة. ص٣٩

١٦ـ ولا ننسى أن كثيراً من الشعراء قد طغى بهم الإبداع في المقال إلى أن نسقوا في مديح الخمر صفات الجمال، وضربوا للتنويه بشأنها الأمثال؛ فاستهووا لمعاقرتها عبيد الخيال، والشعراء يتبعهم الغاوون. ص٤١

١٧ـ فالإسلام ـ وإن عني بتزكية الأرواح، وترقيتها في مراقي الفلاح ـ لم يبخس الحواس حقها، وقضى لبانتها من الزينة، واللذة بالقسطاس المستقيم. ص٤١

١٨ـ وروي أن عبد الله بن أبي السمط أنشد بين يدي المأمون أبياتاً يمتدحه بها، فلما انتهى عند قوله:

أضحى إمام الهدى المأمون مشتغلاً   بالدين والناس بالدنيا مشاغيل

قال له المأمون: ما زدت على أن جعلتني عجوزاً في محراب، وبيدها سبحة! !

أعجزت أن تقول كما قال جرير في عمر بن عبد العزيز:

فلا هو في الدنيا مُضِيعٌ نصيبَه   ولا عرض الدنيا عن الدين شاغله

ص٤١

١٩ـ هذا الباعث ـحب المال ـ يقذفه الله في نفوس قوم، فيدعوهم إلى تسوية طرائق العمران، وتشييد أركانه، ويسلكه في قلوب آخرين فيترامى بهم إلى بث الفساد على وجه البسيطة، وإثارة غبار التوحش في أرجائها. ص٤٣

٢٠ـ حب المال هو الذي ينزع من فؤاد الرجل الرأفةَ ويجعل مكانها القسوة والفظاظة، حتى إذا أظلم الأفق، واسودّ جناح الليل[1] تأبط خنجراً، أو تقلد سيفاً، وذهب يخطو خطاً خفافاً؛ ليأتي البيوت من ظهورها، ويمد بسبب إلى أمتعتها، فإذا دافعه صاحبها أذاقه طعم المنون، وانصرف ثملاً بلذة الانتصار. ص٤٣ ـ ٤٤

٢١ـ ولهذا افتقرت داعية حب المال إلى وازع يسدد طيشها، ويكسر من

١ـ هذا تضمين من المؤلف رحمه الله لقول عمر بن أبي ربيعة:

إذا اسود جنح الليل فلتأت ولتكن   خطاك خفافاً إن حراسنا أسدا

كعوبها إلى أن تستقيم قناتها.[١]

والوازع ما ورد في مجمل الشريعة ومُفصَّلها من الأصول القابضة على أيدي الهداجين حول اختلاسها، والعاملين على اغتصابها، أو التصرف فيها بغير ما يأذن به صاحبها. ص٤٤

٢٢ـ الرشوة أخت السرقة، وابنة عم الاغتصاب، وإن شئت فقل: تزوج الاغتصاب بالسرقة، فتولدت بينهما الرشوة؛ لأنها عبارة عن أخذ مال معصوم خفية، ولكنه بسلطة على حين علم من صاحبه. ص٤٥

٢٣ـ ولما كانت الرشوة عقبة كؤوداً في سبيل الحرية ـ أخذت الشريعة في تحريمها بالتي هي أحوط؛ فلا يسوغ للقاضي قبول الهدية إلا من خواص قرابته؛ لئلا تزل به مدرجاتها إلى أكل الرشوة، أو يتخذ اسم الهدية غطاءًا للرشوة يسترها به عن أعين المراقبين لأحواله السرية. ص٤٥

٢٤ـ فمن تحيز عن أمته، وطفق يرمي في وجوههم بعبارات الازدراء، وينفث في كأس حياتهم سُمَّاً ناقعاً ـ لا نَصِفُه بصفة الغيرة، والوطنية، وإن شُغِفَ بحب ديارهم، وقبَّلها جداراً بعد جدار.[٢] ص٤٩

١ـ هذا تضمين للشاهد النحوي في باب نصب المضارع:

وكنت إذا غمزت قناة قوم ... كسرت كعوبها أو تستقيما

٢ـ هذا تضمين لقول الشاعر:

أمر على الديار ديار ليلى ... أقبل ذا الجدار وذا الجدارا

وما حبُّ الديار شغفن قلبي ... ولكن حب من سكن الديارا

ولو تتبع أحد هذا الفن ـ أعني الاقتباس والتضمين ـ في مؤلفات الشيخ رحمه الله لخرج بمادة علمية كبيرة.

٢٥ـ يريد كل امرئ أومضت فيه بارقةٌ من العقل أن يكون عِرْضُه محلَّ التمجيدِ والثناء، وحرماً مصوناً لا يرتع حوله اللامزون.

وهاته الإرادة هي التي تبعثه على أن يبدد فريقاً من ماله في حل عقال ألسنة؛ لتكسوه من نسج آدابها حلة المديح، أو يسد بها أفواهاً يخشى أن تصب عليه مرائر أحدوثتها علقماً، قال أحدهم:

أصون عرضي بمالي لا أدنسه لا بارك الله بعد العرض بالمال

وقد تتقوى هذه الداعية فتبلغ به أن يخاطر بحياته، وينصب جنبه لسهام الرزايا عندما يرجم بشتيمة تلوث وجه كرامته، ويتجهم بها منظر حياته، يقول أبو الطيب المتنبي:

يهون علينا أن تصاب جسومنا وتسلم أعراض لنا وعقول

ولا يتفاضل الناس في مراقي الشرف والمجادة، أو تتسفل هممهم إلى هاوية الرذالة إلا بمقدار ما تجد بينهم من التفاوت في عقد هذه الإرادة قوة وانحلالاً؛ فبقوة هذه الإرادة يتجلى لنا في مظاهر الإنسانية مطبوعاً على أجمل صورة من الكمال، وبسبب ضعفها تنزل به شهواته من سماء الإنسانية إلى أن يكون حيواناً مهملاً. ص٥٣

٢٦ـ لا يحق للطاعن أن يتخطى المصائب التي يجهر بها صاحبها إلى النقائص التي يحرزها بغطاء الستر والكتمان. ص٥٤

٢٧ـ في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ الحجرات ١٢.

وفي هذا التشبيه إشارة إلى أن عرض الإنسان كدمه ولحمه، وهو من باب القياس الظاهر؛ لأن عرض المرء أشرف من بدنه؛ فإذا قبح من العاقل أكل لحوم الناس لم يحسن منه قرض أعراضهم بالطريق الأولى؛ فالمذام التي تلتصق بالشخص خُفْيَةً لا يسوغ لآخر تَكَشَّف عليها أن يحرك بها لسانه، ويتمضمض بإذاعتها في المجامع إلا في مواضع يدور حكم الاستباحة فيها على درء مفسدة تنشأ عن عدم التعريف بها. ٥٤

٢٨ـ ولما تجاسر كثير من أهل الأهواء على اختلاق أحاديث يفترونها كذباً، ويسندونها إلى رسول الله ﷺ ليؤيدوا بها مزاعمهم، أو يقضوا بها حاجة في نفوسهم ـ قام العلماء بحق الوراثة المنوطة بعهدتهم من قبل صاحب الشريعة، وأخذوا في نقد ما يروى من الأحاديث؛ حتى يتميز الخبيثُ من الطيب، والصحيح من غير الصحيح؛ فاحتاجوا إلى التعرض لحالة الرواة، وإذا علموا من أحد سوءاً بادروا إلى الجهر به، وتعيين اسمه؛ ليحذِّروا الناس، ولا يتلقون روايته بالقبول. ص٥٥

٢٩ـ وقد دارت هذه الكلمة ـ كلمة الحرية ـ على أفواه الخطباء، ولهجت بها أقلام الكاتبين ينشدون ضالتها عند أبواب الحكومات، ويقفون عند مكانها، وتمكين الراحة من مصافحتها ـ وقوفَ شحيحٍ ضاع في الترب خاتمه.[1] ص١٦

٣٠ـ ينصرف هذا اللقب الشريف ـ الحرية ـ في مجاري خطابنا اليوم إلى معنى يقارب معنى استقلال الإرادة، ويشابه معنى العتق الذي هو فك الرقبة من

---

١ ـ هذا تضمين لقول أبي الطيب المتنبي:

بَلَيْتُ بِلِى الأطلال إن لم أقف بها ... وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه

الاسترقاق.

وهو أن تعيش الأمة عيشةً راضية تحت ظل ثابت من الأمن، على قرار مكين من الاطمئنان.

ومن لوازم ذلك أن يعيَّن لكل واحد من أفرادها حدٌّ لا يتجاوزه، وتُقَرَّر له حقوق لا تعوقه عن استيفائها يدٌ غالبة؛ فإن في تعدي الإنسانِ الحدَّ الذي قضت عليه أصولُ الاجتماع بالوقوف عنه _ ضرباً من الإفراط.

ويقابله في الطرف الآخر حرمانه من التمتع بحقوقه؛ ليستأثر غيره بمنفعتها، وكلا الطرفين شعبة من شعب الرذائلِ، والحريةُ وسطٌ بينهما على ما هي العادة في سائر الفضائل. ص١٦

٣١_ ومن كشف عن حقيقتها _ يعني الحرية _ المفصِّلةِ ستارَ الإجمالِ أَشْرَفَ على أربع خصال مندمجة في ضمنها:

أحدها: معرفة الإنسان ماله وما عليه؛ فإن الشخص الذي يجهل حقوق الهيئة الاجتماعية، ونواميسها لا يبرح في مضيق الحجر مقيد السواعد عن التصرف حسب إرادته واختياره، حتى يستضيء بها خبرة، ويقتلها علماً؛ إذ لا يأمن أن تطيش أفعاله عن رسوم الحكمة والسداد، فيقع في خطيئة تحدث في نظام تلك الهيئة علة وفساداً.

ولا يخالط الضمائر من هذا أن الحرية مقصورة على علماء الأمة العارفين بواجباتها؛ إذ للأميين منها مَخْلَصٌ فسيحٌ، وهو باب الاستفتاء، والاسترشاد، قال _ تعالى _: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ النحل: ٤٢.

ثانيها: شرفُ نفس يزكي طويَّتها، ويطهر نواياها من قصد الاعتداء على ما

ليس بحق لها؛ فلا ترمي بهمتها إلا في مواضع تشير إليه العفة ببنانها.

ثالثها: إذعانٌ يدخل به تحت نظر القوانين المقامة على قواعد الإنصاف، ويستنزله ريثما تَحَرَّرُ ذمتُه من المطالب التي توجه إليها باستحقاق.

رابعها: عزة جانب، وشهامة خاطر يشق بها عصا الطاعة للباطل، ويدفع بها في قوةٍ من يسوم عنقه بسوء الضيم والاضطهاد.

ولا يقيم على ضيم يراد به إلا الأذلان عيرُ الحيِّ والوتدُ

نستنتج من هذا البيان أن الأساس الذي ترفع عليه الحرية قواعدها ليس سوى التربية والتعليم؛ فيتأكد على الحكومة التي تنظر إلى فضيلة الحرية بعين الاحترام أن تسعى جهدها في تهذيب أخلاق الأمة، وتنوير عقولها بالتعليمات الصحيحة قبل كل حساب. ص١٧

٣٢_ قال _تعالى_: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ البقرة ١٧٩.

لأن القصاص يكف يد العالم به عن إراقة الدماء، ونهب الأعمار؛ موافقة لداعية الهوى والضغائن الواغرة في الصدور؛ فيكون سبباً لحياة نفسين في هذه الناشئة، ولأن العرب كانوا يقتلون غير القاتل أحياناً؛ فإذا قتل عبد أو امرأة من قبيلة، وكانت القبيلة ذات شوكة وحمية لا ترضى إلا أن تقتل في مقابل العبد حراً، والمرأة رجلاً، وربما قتلوا جماعة بواحد، فتهيج الفتنة، وتشتعل بينهم حرب البسوس؛ فإذا كان القصاص مقصوراً على القاتل فاز الباقون بالحرية في حياتهم، واطمأنوا بها. ص٥٩

٣٣_ وشرع الإسلام الدية على القاتل؛ تخفيفاً ورحمة، وأقامها مقام القصاص

إذا رضي بها أولياء القتيل، وآثروها على الأخذ بالثأر؛ فقد تكون الدية أصلح لهم من القصاص، وأجدى نفعاً، زيادة عما فيها من بقاء نفس مسلمة تتناسل ذريتها في الإسلام. ص٦٠

٣٤_ لا يحل دم امرئ إلا لأسباب تكون الفتنة فيها أشد من القتل مثل الزنا من المحصن؛ فإن الزاني يبذر نطفته على وجه تجعل النسمة المُخَلَّقة منها مقطوعةً عن النسب إلى الآباء، والنسبُ معدودٌ من الروابط الداعية إلى التعاون والتعاضد؛ فكان السِّفاح سبباً لوجود الولد عارياً من العواطف التي تربطه بأولى قربى يأخذون بساعده إذا زلت به نَعْلُه، ويتقوى به اعتصابهم عند الحاجة إليه.

وفيه جناية عليه، وتعريض به لأن يعيش وضيعاً بين الأمة، مدحوراً من كل جانب؛ فإن الناس يستخِّفون بولد الزنا، وتنكره طبائعهم، ولا يرون له في الهيئة الاجتماعية اعتباراً.

ثم إن الغيرة التي طبعت في الإنسان على محارمه، والحرج الذي يملأ صدره عند مزاحمته على موطوءته مظنةٌ لوقوع المقاتلات، وانتشار المحاربات؛ لما يجلبه هتك الحرمة للزوج، وذوي القرابة من العار الفظيع، والفضيحة الكبرى؛ فاقتضى هذا الفاسد الناقض للعمران أن يُفْرَضَ له حدٌّ وجيعٌ وهو الرجم إن كان ثيباً، وهذا من الحدود المتوارثة في الشرائع السماوية كالقصاص والقطع في السرقة، وأما إن كان بكراً فيجلد مائة جلدة. ص ٦١ _ ٦٢

٣٥_ وشدد الإسلام العقوبة على من ارتد عن الدين بعد أن لبس هديه القويم؛ فأمر بدعوته إلى الإنابة والتوبة، فإن رجع وإلا ضرب بالسيف على

عنقه. ص٦٥

٣٦ـ وإنما جُبِرَ المرتدُّ على البقاء في الإسلام؛ حذراً من تفرق الوحدة، واختلال النظام؛ فلو خُلِّي السبيل للذين ينبذون الدين جهرة ـ ونحن لا نعلم مقدار من يريد الله أن يضله ـ نخشى من انحلال الجامعة، وضعف الحامية.

وأهل الردة ـ وإن أصبحوا كاليد الشلاء لا تعمل في الجامعة خيراً ـ لا يخلوا بقاؤهم في شمل المسلمين ـ وهم في صورة أعضاء صحيحة ـ من إرهاب يلقيه كثرة السواد في قلوب المحاربين. ص٦٥

٣٧ـ ثم إن لكل أمة سرائرَ من حيث الدولة لا ينبغي لها أن تطلع عليها غير أوليائها.

ومن كان متلبساً بصفة الإسلام شأنُهُ الخبرةُ بأحوال المسلمين، والمعرفة بدواخلهم؛ فإذا خلع ربقة الدين ـ وقد كان بِطانةً لأهله يلقون إليه سرائرهم ـ اتخذه المحاربون أكبر مساعد، وأطول يد يمدونها لنيل أغراضهم من المؤمنين.

هذا تأثير أهل الردة على الإسلام من جهة الدولة والسياسة.

وأما تأثيرهم عليه من جهة كونه ديناً قَيِّماً فإن المرتد يحمله المقلدون من المخالفين على معرفته بحال الدين، والخبرة بحقيقته تفصيلاً، فيتلقون منه كلَّ ما ينسبه إليه من خرافات وضيعة، أو عقائد سخيفة يختلقها عليه؛ بقصد إطفاء نوره، وتنفير القلوب منه.

ولما كان عثرة في سبيل انتشار الدين وجبت إماطته كما يماط الأذى عن الطريق. ص٦٥

٣٨_ وفي جعل عقوبة المرتد إباحةَ دمه زاجرٌ للأمم الأخرى عن الدخول في الدين؛ مشايعةً للدولة، ونفاقاً لأهله، وباعثٌ لهم على التثبت في أمرهم؛ فلا يتقلدونه إلا على بصيرة، وسلطان مبين؛ إذ الداخل في الدين مداجاةً، ومشايعةً يتعسر عليه الاستمرار على الإسلام، وإقامة شعائره. ص٦٦

٣٩_ وأنت إذا جئت تبحث عن حال من ارتد بعد الإسلام لا تجد سوى طائفتين:

منهم من عانق الدين منافقاً؛ فإذا قضى وطره، أو انقطع أمله انقلب على وجهه خاسراً.

وبعضهم ربي في حجور المسلمين، ولكنه لم يدرس حقائق الدين، ولم يتلق عقائده ببراهين تربط على قلبه؛ ليكون من الموقنين؛ فمتى سنحت له شبهة من الباطل _ تزلزلت عقيدته، وأصبح في ريبه متردداً.

وارجع بصرك إلى التاريخ كرتين؛ فإنك لا تعثر على خبر ارتداد مسلم نبت في بلد طيب نباتاً حسناً. ٦٦

٤٠_ لا يخفى على متشرع بصير أن الملك والدين إخوان يشد كل منهما بعضد الآخر.

بل الدين رائد للمُلك، والملك تابعٌ للدين خادم له، وإن شئت فقل: هما كمثل إنسان: الدين عقله المدبر، والملك جسمه المُسَخَّر له، وذلك الإنسان هو ما نسميه الآن بالإسلام.

فبمقدار ما ترتبط الإدارة السياسية بالإدارة الدينية يكمل شبابه، وتجري

روح الاستقامة في أعضائه، فتصدر أعماله قرينةَ الحكمة، سالمةً من العيوب.

ومتى انفكت أولاهما عن أخراهما انحلت حُبْوته، وتناثرت أجزاؤه تناثرَ خَرَزِ مِكْوَرةٍ على سطح محدَّب. ص٦٧

٤١ـ فمن صعَّد نظره في عصر الخلفاء الراشدين يجد السبب الذي ارتقى بالإسلام، وانسجم به في سبيل المدنية ـ هو ما انعقد بين الدين والخلافة من الاتحاد والوفاق.

ومن ضرب بنظره فيما يشاء من الدول التي حمي فيها وطيس الاستبداد يجد المحرك لتلك الريح السموم، والعِثْير المشوم ـ ما اعترض بين هاتين السلطتين من الاختلاف. ص٦٧

٤٢ـ كان موضع العناية، ومحل القصد من الإمارة في نظر أولئك الخلفاء، ومن حذا حذوهم كعمر ابن عبد العزيز ـ هو خدمة الدين، الذي هو خادم للعدالة، التي هي خادمة للصلاح، قال الشيخ قبادو التونسي:

وما الجاه إلا خادم الملك لائـذاً وما الملك إلا خادم الشرع حزمه
وما الشرع إلا خادم الحق مرشداً وبالحق قام الكون وانزاح ظلمه

ص٦٧

٤٣ـ ولما انطوت أحشاؤهم على هذا المقصد الجميل أطلقوا سراح الرعية في أمرهم بالمعروف، وإحضارهم النصيحة، مثل ما سبق في خطبة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وكقول عمر بن الخطاب: «أعينوني على نفسي بالأمر بالمعروف، وإحضاري النصيحة، وأعينوني على أنفسكم بالطاعة».

وكانوا يوسِّعون صدورهم للمقالات التي توجه إليهم على وجه النصيحة، والتعريض بخطأ الاجتهاد وإن كانت حادةَ اللهجة، قارصةَ العبارة. ص٦٨

٤٤_ ثم خلف من بعد أولئك خَلْف عرفوا أن فطرة الدين وطبيعته لا تتحمل شهواتِهم العريضةَ، وألفوا بلاط الملك فسيح الأرجاء، بعيدَ ما بين المناكب.

ولكنه لا يسعفهم على أغراضهم، وتتبع خطواتهم مادامت أوصاله ملتحمة بالإدارة الدينية، ولم يهتدوا حيلة إلى فارق بينهما سوى أن يسدوا منافس الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر دون دعاة الإصلاح، وابتكروا ضروباً من الخسف، وأفانين من الإرهاق كانوا يهجمون بها على الناس هجوم الليل إذا يغشى، وإذا سمعوا منادياً ينادي؛ ليحق الحق، ويبطل الباطل كلَّموه بألسنة السيوف. ص٦٩

٤٥_ ولما أبق الملك من حضانة الدين، وخفقت عليه رايةُ الاستبداد خالط الأفئدة رعبٌ و أوجال كأنما مُزِجت بطينتها؛ فبعد أن كان راعي الغنم يفِدُ من البادية، وعصاه على عاتقه، فيخاطب أمير المؤمنين بـ: يا أبا بكر، ويا عمر، ويا عثمان، ويتصرف معه في أساليب الخطاب بقرارة جأش، وطلاقة لسان، وسكينة في الأعضاء _ أصبح سيد قومه يقف بين يدي أحد الكبراء في دولة الحجاج فينتفض فؤاده رعباً، ويتلجلج لسانه رهبة، وترتعد فريصتُه وجلاً؛ يخشى أن يكون فريسة لبوادر الاستبداد. ص٦٩

٤٦_ إذا أنشبت الدولة برعاياها مخالب الاستبداد نزلت عن شامخ عزها لا محالة، وأشرفت على حضيض التلاشي والفناء؛ إذ لا غنى للحكومة عن رجال تستضيء بآرائهم في مشكلاتها، وآخرين تثق بكفاءتهم وعدالتهم إذا فوضت

إلى عهدتهم بعض مهماتها. ص٧١

٤٧_ والأرض التي اندرست فيها أطلال الحرية إنما تؤوي الضعفاء والسفلة، ولا تنبت العظماء من الرجال إلا في القليل، قال صاحب لامية العرب:

ولكن نفساً حرة لا تقيم بي على الذل إلا ريثما أتحول

فلا جرم أن تتألف أعضاء الحكومة وأعوانها من أناس يخادعونها، ولا يبذلون لها النصيحة في أعمالهم، وآخرين مقرنين في أصفاد الجهالة يدبرون أمورها على حد ما تدركه أبصارهم.

وهذا هو السبب الوحيد لسقوط الأمة؛ فلا تلبث أن تلتهمها دولة أخرى، وتجعلها في قبضة قهرها، وذلك جزاء الظالمين. ص٧١

٤٨_ ثم إن الاستبداد مما يطبع نفوس الرعية على الرهبة والجبن، ويميت ما في قوتها من البأس والبسالة.

فمن في كفه منهم قناةٌ كمن في كفه منهم خضابُ

فإذا اتخذت الدولة منهم حامية، أو ألَّفت منهم كتيبةً عجزوا عن سد ثغورها، وشُلَّت أيديهم من قبل أن يشدوا بعضدها. ص٧١

٤٩_ وإذا أردت مثلاً يثبت فؤادك، ويؤيد شهادة العيان فاعتبر بما قصه الله _ تعالى _ عن قوم موسى _ عليه السلام _ لما أمرهم بالدخول للأرض المقدسة، ومِلْكِها كيف قعد بهم الخوف عن الطاعة، والامتثال، وقالوا: ﴿ إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا ﴾ المائدة ٢٢.

فمتى جئت تسأل عن الأمر الذي طبع في قلوبهم الجبن، وتطوَّح بهم في

العصيان، والمنازعة إلى قولهم: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ المائدة٢٤.

وجدْتَه خلف الانقياد المتمكن في نفوسهم من يوم كانت الأقباط ماسكة بنواصيهم، وتذيقهم من سوء الاستعباد عذاباً أليماً. ٧٢

٥٠_ والأمَّة مفتقرة إلى الكاتب، والشاعر، والخطيب.

والاستبداد يعقد ألسنتهم على ما في طيِّها من الفصاحة، وينفث فيها لُكْنَةً، وعِيًّا، فتلتحق لغتهم بأصوات الحيوانات ولا يكادون يفقهون قولاً. ٧٢

٥١_ وإذا أضاءت على الأمة شموس الحرية، وضربت بأشعتها في كل وادٍ _ اتسعت آمالهم وكبرت هممهم، وتربت في نفوسهم ملكة الاقتدار على الأعمال الجليلة.

ومن لوازمها اتساع دائرة المعارف بينهم، فتنفتق القرائح فهماً، وترتوي العقول علماً، وتأخذ الأنظار فسحة ترمي فيها إلى غايات بعيدة، فتصير دوائر الحكومة مشحونة برجال يعرفون وجوه مصالحها الحقيقية، ولا يتحرفون عن طرق سياستها العادلة. ٧٢

٥٢_ والحرية تؤسس في النفوس مبادئ العزة والشهامة، فإذا نظَّمت الحكومة منهم جنداً استماتوا تحت رايتها مدافعة لا يرون القتل سُبَّةً إذا ما رآه الناكسو رؤوسهم تحت راية الاستبداد. ٧٢ _ ٧٣

٥٣_ ثم إن الحرية تعلم اللسان بياناً، وتمد اليراعة بالبراعة، فتزدحم الناس على طريق الأدب الرفيع، وتتنوَّر المجامع بفنون الفصاحة، وآيات البلاغة؛ هذا

خطيب يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، وذلك شاعر يستعين بأفكاره الخيالية في نصرة الحقيقة، ويحرك العواطف، ويستنهض الهمم لنشر الفضيلة، وآخر كاتبٌ، وعلى صناعة الكتابة مدار سياسة الدولة. ٧٣

٥٤ـ ولم تكن ينابيع الشعر في عهد الخلفاء الراشدين فاغرةً أفواهها بفن المديح والإطراء، وإنما ترشح به رشحاً؛ وتمسح به مسحاً لا يضطهد من فضيلة الحرية فتيلاً.

وما انْفَلَّتْ وكاؤها، وتدفقت بالمدائح المتغالية إلا في الأعصر العريقة في الاستبداد. ٧٣

٥٥ـ ولما وقر في صدر عمر بن عبد العزيز من تنظيم أمر الخلافة على هيئته الأولى لم يواجه الشعراء بحفاوة وترحاب، وقال: مالي وللشعر، وقال مرة: إني عن الشعر لفي شغل.

انتجعه جرير بأبيات، فأذن له بإنشادها، وقال له: اتق الله يا جرير ولا تقل إلا حقّاً.

وعندما استوفاها واصله بشيء من حُرِّ ماله، فخرج جرير وهو يقول: خرجت من عند أمير يعطي الفقراء، ويمنع الشعراء، وإني عنه لراضٍ، ثم أنشد يقول:

رأيت رقى الشيطان لا تستفزه　　وقد كان شيطاني من الجن راقياً

ص٧٣

٥٦ـ ومن مآثر الاستعباد ما تتجشَّأ به اللُّها، وتسيل به الأقلام من صديد الكلمات التي يفتضح لك من طلاوتها أنها صدرت من دواخل قلب استشعر

ذلة، وتدثر صغاراً نحو «مُقَبِّل أعتابكم» «المتشرف بخدمتكم» «عبد نعمتكم» ولا إخال أحداً يصغي إلى قول أحد كبراء الشعراء:

وما أنا إلا عبد نعمتك التي نسبت إليها دون أهلي ومعشري

إلا ويمثِّل في مرآة فكره شخصاً ضئيلاً يحمل في صدره قلباً يوشك أن ينوء بحمله بما فيه من الطمع والمسكنة. ص٧٤

٥٧ـ ومن سوء عاقبة الخضوع في المقال أن يوسم الرجل بلقب وضيع ينحته الناس من بعض أقوالٍ له أفرغ فيها كثبةً من التذلل، وبذلِ الهمة، كما سموا رجلاً باسم «عائد الكلب» لقوله:

إني مرضت فلم يعدني واحد منكم ويمرض كلبكم فأعود

ص٧٤

٥٨ـ ولا نجهل أن بعض من سلك هذا المسلك من التملق والمديح اتخذه سلماً؛ ليظفر بحق ثابت، ولكنه لا ينافي الغرض الذي نرمي إليه من أن الحقوق في دولة الحرية تؤخذ بصفة الاستحقاق، وفي دولة الاستبداد لا تطالب إلا بصفة الاستعطاف؛ وذلك الوزر الذي يحبط بفضل العزة التي نبهنا الله عليها، وأرشد من يريدها إلى أنها تطلب بالطاعة من الكلم الطيب، والعمل الصالح فقال ـ تعالى ـ:

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ فاطر١٠. ص٧٤

عاشراً: نقولات مختارة من كتاب:

نقض كتاب: في الشعر الجاهلي للشيخ محمد الخضر حسين

وهذا الكتاب رد على كتاب: في الشعر الجاهلي لطه حسين، وهذه نبذة مختارة من بعض ما جاء فيه:

١ـ نهضت الأمم الشرقية فيما سلف نهضة اجتماعية ابتدأت بطلوع كوكب الإسلام، واستوثقت حين سارت هدايته سيرها الحثيث، وفتحت عيون هذه الأمم في طريقة الحياة المثلى. ص هـ

٢ـ تمتع الشرف بنهضته الاجتماعية والأدبية حقباً، ثم وقف التعليم عند غاية، وأخذ شأناً غير الشأن الذي تسمو به المدارك، وتنمو به نتائج العقول، فإذا غفوةٌ تدِب إلى جفون هذه الأمم، ولم تكد تستفيق منها إلا ويدٌ أجنبيةٌ تقبض على زمامها. ص هـ

٣ـ هَبَّ بعضُ أولي الحكمة منا يقلبون وجوههم في العلل التي مسَّت أمم الشرق فقعدت بهم سنين عدداً، وبعثوا أقلامهم من مراقدها تصف هذه العلل، وتنذر الناس موتة اليأس، والجبن، والخمول، وتلقي عليهم دروساً في أسباب الحياة، ووسائل الخلاص. ص هـ ـ و

٤ـ التفت الشرق إلى ما كان في يده من حكمة، وإلى ما شاده من مجد، وإلى ما شاب في مهده من أعاظم الرجال، أخذ ينظر إلى ماضيه؛ ليميز أبناؤه بين ما هو تراث آبائهم، وبين ما يقتبسونه من الغرب، وليشعروا بما كان لهم من مجد شامخ؛ فتأخذهم العزة إلى أن يضموا إلى التالد طريفاً، وليذكروا أنهم ذرية

أولئك السَّراة، فلا يرضوا أن يكونوا للمستبدين عبيداً. ص و

٥_ أنشأ أولو الأحلام الراجحة من الزعماء والكتاب يأخذون بما يظهر من جديد صالح، ولا ينكثون أيديهم من قديم نافع؛ فاستطاعوا بهذه الحكمة والروية أن يسلكوا قلوب الأمة في وَحْدَةٍ، ويخطوا بها إلى حياة العلم، والحرية، والاستقلال. ص و

٦_ نظر إلى هذه النهضة الزاكية مَنْ لا يرغبون في تقدم هذه الأمم إلى خلاصها ولو خطوة، وعرفوا أن بأيدي هذه الأمم كتاباً فيه نظم الاجتماعية، وآيات تأخذ _ في شرط إيمانهم به _ ألا يلينوا لسلطة شأنُها أن تسوسهم على غير أصوله؛ فما كان من هؤلاء القوم الذين يستحلون إرهاق الأمم إلا أن يبتغوا الوسيلة إلى فتنة القلوب، وصرفها عن احترام ذلك الكتاب.

والغاية تقويضُ بناء هذه الوحدة السائرة بنا إلى حياة سامية، وعز لا يبلى. ص و

٧_ فسقت طائفة عن أدب الإسلام، أو أرهفت أقلامها؛ لتعمل على هذه الخطة الخاذلة غير مبالية بسخط الأمة، ولا متحرجة بما سينطق به التاريخ من وضع يدها في يد خفية لا شأن لها إلا نصب المكايد لأمة كان لها العزم النافذ، والكلمة العليا. ص ز

٨_ تلهج هذه الطائفة باسم حرية الفكر، وهي لا تقصد إلا هذا الفن الذي أكبَّت عليه صباحها، ومساءها وهو النيل من هداية الإسلام، والغض من رجال جاهدوا في سبيله بحجة وعزم وإقدام.

ويكفي شاهداً على رياء هؤلاء الرهط أنهم يقيمون مآتم يندبون فيها حرية الفكر، ثم ينصرفون ويقولون فيما يكتبون: للحكومة أن ترهق الشعب، وترغمه على ما تراه أمراً لائقاً.

ولو سبق إلى ظنك أن مؤلف كتاب «في الشعر الجاهلي» هو عينهم الناظرة، وسهمهم الذي يرمون به في مقاتل أمتهم الغافلة لخلَّيت بينك وبين هذا الظن؛ إذ ليس لي على هذه الظنون الغالبة من سبيل. ص ذ

٩ـ فالقلم الذي يناقش كتاب «في الشعر الجاهلي» إنما يطأ موطئاً يغيظ طائفة احتفلت بهذا الكتاب، وحَسِبْته الطعنة القاضية على الإسلام وفضل العرب ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً ﴾. ص ز

١٠ـ وقع نظري تحت هذا الكتاب، وكنت على خبرة من حذق مؤلفه في فن التهكم ولو بالقمر إذا اتَّسق، والتشكيك ولو في مطلع الشمس الضاربة بأشعتها في كل واد؛ فأخذت أقرأه بنظر يزيح القشر عن لبابه، وينفذ من صريح اللفظ إلى لحن خطابه.

وما نفضت يدي عن مطالعة فصوله، حتى رأيتها شديدة الحاجة إلى قلم ينبِّه على علاَّتها، ويردُّ كل بضاعة على مستحقها.

وما هو إلا أن ندبت القلم لقضاء هذه المآرب، وسداد هذا العوز فلم يتعاصَ عليَّ. ص١

١١ـ و إنا لا نغمض لذلك الكتاب في مقال ينهبه، أو غمز في الإسلام يستعذبه؛ فإنا وجَدْتَنا نحاوره في نهب أو غمز فإنا لم نخرج عن دائرة نقده، ولم

نتجاوز حد الباحث في مقتضيات لفظه؛ فإن كان في فمك مَلامٌ فَمُجَّهُ في سمعه؛ فهو الذي ألقى على سمعك نحواً من حديث قوم لا يتدبرون. ص٢

١٢ـ جِدَّةُ البحث لا تكفي لإعلاء شأن التأليف، وإحرازه في نفوس القراء موقع القبول.

وإنما يرجح وزن الكتاب بمقدار ما يتجلى فيه من حكمة النظر، وصدق المقدمات، ووضوح النتيجة. ص٣

١٣ـ كنا نتمنى أن يهتدي المؤلف إلى نحو من البحث «لم يألفه الناس عندنا من قبل» وقد أبت الليالي أن تسمح بهذه الأمنيَّة، فلم يكن منه إلا أن أغار على كتب عربية، وأخرى غربية، فالتقط منها آراءاً، وأقوالاً نظمها في خيوط من الشك والتخيل، وقال: «هذا نحو من البحث في تاريخ الشعر العربي جديد». ص٣ ـ ٤

١٤ـ فإعجاب الرجل ببحثه، وإيمانه به إيماناً لا يعرف أنه شعر بمثله ـ لا يكسبان البحث ذرة من قوة، ولا يدنيانه من الحقيقة فتيلاً. ص٤

١٥ـ كم كتابٍ صُنع ليطعن حقاً، وكم كتاب صنع ليمحو أدباً، ولا يعجز أحد من صانعي هذه الكتب أن يقول: وأنا مطمئن إلى أن هذا البحث وإن أسخط قوماً فسيرضي هذه الطائفة المستنيرة، ويأتي في وصف هذه الطائفة على كل ما تحمله اللغة من ألقاب المديح والإطراء.

ولكن الذي يعجز عنه، ولا يهتدي إليه طريقاً أن يصدق اطمئنانه، ويأخذ كتابه في نفوس الطائفة المستنيرة مأخذ الرضا؛ فإن هذه الطائفة إنما تقاد بزمام الحجة، وصدق اللهجة، لا بكلمات تُحرَّف عن مواضعها، وشُبَهٍ من الباطل

تخرج في غير براقعها. ص٤ ـ ٥

١٦ـ وما على العلماء النقاد إلا أن يكونوا لهؤلاء الكتاب بالمرصاد، ويعرضوا أقوالهم على قانون العلم الصحيح؛ فإما أن يرجح وزنها؛ فيرفعوا لها ذكراً، وإما أن يطيش وزنها، فينسفوها بالحجج الرائعة نسفاً. ص٦

١٧ـ وأبى قلمه أن يسلو حِرفةَ الغمز، فسلك في كثير من المواضع طرق المهرة من الكتاب في صوغ عباراتٍ ظاهرُها البحث في الشعر الجاهلي، وباطنها الدعاية إلى غير سبيل المؤمنين.

ولو صح أن تعصر هذه العبارات لتقاطر من خلالها قذفٌ فاحش، وفسوق كثير. ص١٦ ـ ١٧

١٨ ـ ألم يكن من أدب الأستاذ أن يربي نفوس التلاميذ على عزة ونخوة.

ومن أسباب عظمة النفس ومقامرتها في الشرف شعورها بأنها غصن من شجرة نبتت نباتاً حسناً، وآتت أكلها ضعفين. ص١٣٤

١٩ـ إن شعور نشأنا بما كان للشرق من حلوم راجحة، وحياة علمية زاهرة لَيجعلهم من سمو الهمة، وقوة العزم بمكان لا تحظى به نفوس يقال لها: انسلخي من شرقيتك؛ إنها مرذولة، اخرجي في صبغة غربية؛ إنها أخذت الكمال من جميع أطرافه؛ ص١٣٥

٢٠ـ تدرس الأمم الراقية تاريخها؛ لأنه علم، وتعنى بدرسه؛ لأنه يفضي إلى أبنائها بما كان لسلفهم من مآثر فاخرة؛ فيدخلون معترك هذه الحياة بشعور سامٍ، وهمم يصغر لديها كل خطير.

أما المؤلف فإنه يدس في محاضراته فقراتٍ شَأْنُها الإزراء بأي قومية شرقية، وقد نفذت هذه الدسيسة في نفر حتى تيسر لها أن تجمع في نفوسهم بين المهانة والغرور. ص١٣٥

٢١ـ فالتاريخ يشهد بأن في العرب رجالاً أنفقوا في سبيل الإسلام كل ما استطاعوا من قوة، وسيرتهم تنطق بأنهم أقاموا الدعوة إليه بعقيدة أنه هداية، ومنبع سعادة.

وسواء عليهم بعد ذلك الجهاد الحق أن يعيشوا به أعزة سعداء، أو يموتوا شهداء. ص١٤٠

٢٢ـ فإن في الإسلام حجةً وحكمة تأخذان ذوي الفطر السليمة، والعقول السامية إلى أن يتصلوا به، ويرضوه، ولو نسلت عليهم الخطوب من كل حدب. ص١٤١

٢٣ـ أما الضغائن التي ظهرت، والفتن التي استيقظت فلم يكن منشؤها نقصاً في التشريع كما يزعم المؤلف، بل سببها قلة العلم بالتشريع، وعدم القدرة على التطبيق، أو تغلب الأهواء؛ إذ لا عصمة إلا لأنبياء الله المصطفين. ص١٥٠

٢٤ـ يسهل على المؤلف أن يضع إصبعه في سيرة يزيد بن معاوية، أو حماد الراوية؛ لأنه يجد في التاريخ الصحيح، أو الباطل ما يَعْبُر به إلى الحديث عنهما بغلو أو إغراق، ثم لا يعدم أذناً تصغي إليه، أو قلباً يتلهى به.

أما عمر بن الخطاب فإن سيرته متجلية تحت نبراس من التاريخ الصحيح لا يستطيع القلم أن يغير منها لوناً، أو يسومها كيداً، وإن ركب منهج ديكارت، وتناول زاده من حقيبة مرجليوث. ص١٥٦

٢٥ـ ومن لا يدري ما الإيمان ولا الإخلاص قد يجيء على باله أن يشتري سكوت المؤمنين المخلصين بكلمة مديح أو إطراء. ص٢٤٧

٢٦ـ إننا أمة بحث ونظر نذهب مع العلم كل مذهب ، ولا نقف لحرية الفكر في طريق ، وإنما نحن بشر ، والبشر تأبى قلوبهم إلا أن تزدري أقلاماً تثب في غير علم ، وتحاور في غير صدق.

وإنما نحن بشر ، والبشر تأبى لهم أقلامهم إلا أن تطمس على أعين الكلمات الغامزة في شريعة محكمة ، أو عقيدة قيمة. ص**٣٦٢**

الحادي عشر : نقولات مختارة من كتاب :

هدى ونور للشيخ محمد الخضر حسين

«**تعريف مختصر بالكتاب**» :

هذا كتاب للمؤلف رحمه الله أعده وضبطه ابن أخيه الأستاذ علي الرضا الحسيني ، والفقرات الآتية مقال كتبه المؤلف بعنوان «**خواطر**» وقد نشرت هذه الخواطر على حلقتين في مجلة «**البدر**» الصادرة باسم «**العرب**» الجزء الرابع من المجلد الثالث في شهر ربيع الثاني عام ١٣٤٢ ، والجزء السابع من المجلد الثالث الصادر في شهر رجب ١٣٤٣هـ.

يقول رحمه الله :

١ـ إن كبر عقلك ، فأصبح يعلمك ما لم تعلم ، واتسع خيالك ، فبات يلقي عليك من الصور البديعة ما يلذه ذوقك ـ فأنت ما بين أستاذ يمحض نصيحته ، ونديم لا تمل صحبته.

٢ـيعلمك الأستاذ كيف تغوص في عميق البحار ، ويريك نموذجاً من الدر يتميز بينه وبين الأحجار ، وهمتك تخلد بك إلى الإملاق ، أو تجعلك المجلّي في حلبة السباق.

٣ـ سميت الاستخفاف بالشرع حرية ، فقلت : برع في فن المجاز ، وتهكم بمن أصبح عبداً للهوى ، وسميت النفاق كياسة ، فقلت : خان الفضيلة في اسمها ، أو خانه النظر في فهمها.

٤ـ تنظر النفس في سيرة الرجل العظيم كما تنظر العين في الزجاجة النقية ،

فتدرك مساويها؛ أفلا تصنع بمآثرك الحميدة مرآة يبصر بها الناشئ بعدك صورته الروحية فيصلحها.

٥ـ سرت والنورُ أمامك، فانطلق ظلك على أثرك، ثم وليته قفاك، فكان الظل يسعى وأنت على أثره، وهكذا العقل، يتقبل فيتبعه الخيال، فإذا أدبر عنها انقلب الخيال إلى الأمام، وقاده في شُعب الباطل بغير لجام.

٦ـ تبسط لسانك بالنكير على من يقلد في الدين، ولولا أنك تتلقى قول الفيلسوف على غير هدى، لقلت: باكورة الاجتهاد قد أينعت.

٧ـ هذه الدنيا كالعدسة الزجاجية في الآلة المصورة، تضع الرأس بموطئ القدم، وترفع القدم إلى مكان الرأس؛ فزنوا الرجل بمآثره لا بما يبدو لكم من مظاهره.

٨ـ يبسط الشجر ظله للمقيل، ويقف بعد موته بقناديل الكهرباء على سواء السبيل؛ أفانت تجير البؤس وهو أحر من الرمضاء، وتوقد سراج حكمة يهدي بعد موتك إلى المحجة البيضاء.

٩ـ يصنع الصانع الحلي، وتضع ما تتجمل به النفوس في محافل العلى، فإن ظلت تتهافت على صانع الخواتم والسلاسل فاعلم أنها ما برحت لاهية عن هذه المحافل.

١٠ـ حسبت العلم ضلالاً فناديت إلى الجهل، وآخر يزعم التقوى بلهاً فكان داعية الفجور، ولولا ما تلقيناه في سبيلنا من هذه الأرجاس، لكنا خير أمة أخرجت للناس.

١١ـ ربما كان صانعُ الأسنّة أرقَّ عاطفةً من الطبيب، والسفيه أحفظ للحكم البالغة من الأديب، ولكني أطلب نفس الرجل حثيثاً، وأناجيها فلا تكتمني حديثاً.

١٢ـ كان هذا الغصن رطيباً، وعيش البلبل به خصيباً ولكنه سحب عليه ذيل الخيلاء، فأصبح يتقلب في ذلك البلاء، ويرتجف كما ترتجف اليد الشّلاء.

١٣ـ كل جوهرة من عقد حياة محمد ـعليه السلامـ معجزة؛ فإن أساليب دعوته ومظاهر حكمته لا يربطها بحال الأمية إلا قدرة تتصرف في الكائنات بحكمة أبلغ مما تستدعيه طبائعها.

١٤ـ العفاف نور تستمده النفس من مطلع العقل، فإن ضرب عليها الهوى بخيمته السوداء، خسفت كما يخسف القمر إذا حجزت الأرض بينه وبين الشمس.

١٥ـ ينزوي البحر؛ فتضع السفينة صدرها على التراب، وينبسط؛ فتمر على الماء مرَّ السحاب.

والعقل يظل في موقعه من النفس طريحاً، فإن فاضت عليه الحكمة سار في سبيل النظر عَنَقاً فسيحاً.

١٦ـ إن تخبطك السفه أهانوك، وإن قعد بك البله أعانوك؛ لأنك تستطيع أن تكون تقياً، وليس في يدك أن تكون ألمعياً.

١٧ـ تتجلى فضيلتك؛ فتنسج في هذه النفس عاطفة أرق من النسيم، وتوقد في أخرى حسداً أحر من الجحيم، وكذلك المزن ينسكب على أرض؛ فتبتسم بثغر الأُقحوان، وينزل على أخرى؛ فتقطِّب بجبهة من حَسَكِ السعدان.

١٨ـ جنيتُ وردةً لأُخَلِّصها من الشوك الذي يساورها من كل جانب، فما

لبث أن طفئت بهجتها، وسكنت أنفاسُها؛ فعلمت أن النفوس الزاكية لا تتخلص من النوائب إلا يوم تموت.

١٩ـ الشر نار كامنة في قلوب تحملها صدور المستبدين، فإن قَدَحْتَها بنقد سياستهم كنتَ لها قوتاً، إلا أن تكون بإخلاصك وحكمتك البالغة ياقوتاً.

٢٠ـ إذا قلت في السياسة ما لا تفعل، أوهِمْتَ في واد لا تعرُج فيه على حقيقة ـ فانفض ثوبك من غبارها؛ فإنه ليس من الغبار الذي يصيبك في سبيل الله.

٢١ـ إنما يقطف الفيلسوف من المنافع ما تتفتق عنه أكمام الحقيقة، ولا يعرج السياسي بنظره على الحقائق إلا إذا أطلّت عليه المنفعة من ورائها.

٢٢ـ لا تجادل المعاند قبل أن يأخذ الاستهزاء به في نفسك مكان الغضب عليه؛ فالغضب دخان يتجَّهم به وجهُ الحجةِ المستنيرة، وابتسامُ التهكمِ بَرْقُهُ يخطف البصرَ قبل أن تقع صاعقة البرهان على البصيرة.

٢٣ـ لا يمنعك من وضع المقال على محك النظر أن تتلقاه ممن هو أصفى منك ذهناً أو أرجح وزناً؛ فإن الورق لا يقبل ما يرتسم في الزجاجة من الصور إلا بعد إصلاح خطئها، وإعادته الألوان إلى مبدئها.

٢٤ـ أرى موقع الليل من هذه البسيطة لا يفوت مقدار نهارها، فرجوت أن لا يكون الباطل أوسع مجالاً من الحقيقة، ولكن الشمس ترمز بكسوفها إلى أن أخطأت في القياس، وبنيت رجائي على غير أساس.

٢٥ـ العالم بستان، تجوَّل فيه الفيلسوفُ فقال: كيف نشأت هذه الأزهار والثمار؟ ولماذا اختلفت في النعوت والآثار؟ وطاف فيه السياسي فقال: متى

يقطف هذا الثمر؟ وتؤتي تلك الشجرة أكلها؟

٢٦ـ سكبت ماءاً حاراً في زجاجة؛ فتأثر أحد شطريها بالحرارة، واستمر الآخر على طبيعة البرودة؛ فتصدع جدارها.

وكذلك النفوس الناشئة على طبائع مختلفة لا يمكن التئامها.

٢٧ـ كان لسان الدين بن الخطيب جنة أدب تجري تحتها أنهار المعارف فآتت أُكلها ضعفين، ولكن تنفست عليه السياسة ببخار سام؛ فخنقته، وشب نار الحسد في القلوب القاسية؛ فأحرقته.

٢٨ـ تلهج بأن الشيخ لا يسوس المصلحة بحزم، فإن بَلِيَ بَرْدُ شبابك ولم تُلْقِ زمامَها من تلقاء نفسك، فقد فندت رأيك، أو أضمرت العبث في السياسة.

٢٩ـ في الناس من لا يلاقيك بثغر باسم إلا أن تدخل عليه من باب البله، أو تلطخ لسانك بحمأة التملق؛ فاحتفظ بألمعيتك وطهارة منطقك، فإنما يأسف على طلاقة وجهه قوم لا يعقلون.

٣٠ـ بين جناحك قوة تجذب إلى جوارك العمل وهي الإرادة؛ فاستعذ بالله أن تكون كالجاذبية الأرضية تستهوي الصخرة الصماء إلى النفس المطمئنة؛ فتمحقها.

٣١ـ شَدَدْتَ وصلَك إلى سوق العرفان؛ ليقتني ما يَلَذُّ ذوقَك من درر حسان؛ فإذا اغبرت لؤلؤة إيمانك بوسواس المفتون فقد خسرت تجارتك ولو أصبحت تتهكم على آراء أفلاطون، وكشف لك من الكيمياء والزراعة عن كنوز قارون.

٣٢ـ لا ترسل فكرك وراء البحث عن حقيقة قبل أن ينفخ فيه روح الاستقلال؛ فإن التقليد موت، وما كان لجثث الموتى أن تغوص الأبحر العميقة.

٣٣ـ لا عجب أن يتفجر بين أيديهم ينبوع الآداب صافياً، وتهوى أنفسهم أن تغترف غُرْفَةً من مستنقعها الأقصى؛ فإن من الأبصار المعتلة ما لا يقع نظره إلا على شبح بعيد.

٣٤ـ النفس راحلةٌ تحمل أثقالك إلى بلد السعادة؛ فإن لم تسر بها إِثْرَ الشريعة القيمة، أولجت بك في مهامِهَ مُغْبَرَّةٍ، وإن بلغت في الفلسفة ما بلغ شاعر المعرة.

٣٥ـ سيروا في تهذيب الفتاة على صراط الله المستقيم؛ فإن منزلتها من الفتى منزلةُ عَجُزِ البيت من صدره، ولا يحسن في البيت أن يكون أحدُ شطريه محكماً والآخر متخاذلاً.

٣٦ـ لا يدرك أعشى البصيرة من الحدائق المتناسقة غير أشجار ذات أفنان، وثمار ذات ألوان، وإنما ينقِّب عن منابتها وأطوار نشأتها ذو فكرة متيقِّظة.

٣٧ـ لا تداهنوا المولعَ بقتل حريتكم؛ فأبخس الناس قيمة من تصرعه الخمر، كالذي يتخبطه الشيطان من المس، ثم لا يلبث أن يلبسها من تسبيح مدحه حللاً ضافية.

٣٨ـ إن من الجهّال من يرمي به الزمن على مقام وجيه؛ فَعَلِّمْه بسير تلك القيمة أن الجهالة لا ترجح على العلم وزناً وإن وضع بإزائها السلطة الغالبة، أو الثروة الطائلة.

٣٩ـ بذرت أيام الشباب آمالاً لم تقطف ثمرها إلا حين أقبل المشيب، وهل يتمنى الحاصد للثمار يعود إلى أيام الحراثة والزراعة والانتظار؟!

٤٠ـ يكفي الذي يسير في سبيل مصلحة الأمة، وهو يرقب من ورائها منفعة لنفسه أن يكون في حل من وخزات أقلامها، وإنما يحمد الذي يجاهد لسعادتها،

وهو لا يرجو نعماء ينفرد بها في هذه الحياة.

٤١_ لا تنقل حديث الذي يفضي به إليك عن ثقة بأمانتك، ويمكنك _ متى كان يرمي إلى غاية سيئة _ أن تجعل مساعيك عرضة في سبيله؛ فتحفظ للمروءة عهدها، وتقضي للمصلحة العامة حقها.

٤٢_ لو فكرت في لسانك حين يتعرض لإطراء نفسك لم تميزه عن ألسنة تقع في ذمها إلا بأنة يلصق بك نقيصه، لا يحتاج في إثباتها إلى بينة.

٤٣_ ألا ترى الماء الذي تقع في مجارية الأقذار، كيف يتهجَّم منظُره، ويخبُثُ طعمُه؛ فاطرد عن قلبك خواطر السوء؛ فإنه المنبع الذي يصدر عنه عملك المشهود.

٤٥_ قد يقف لك الأجنبي على طرف المساواة، حتى إذا حل وطنك متغلباً طرحك في وهدة الاستبعاد، واتخذ من عنقك الحر موطئاً.

٤٦_ لا يحق للرجل أن يكاثر بمن يتقلد رأيه على غير بينة، إلا إذا وازنه وقارنه بالصحف المطوية على آثارهم في نسخ متعددة.

٤٧_إن هذا الزجاج يصنع كأساً ليصير الحليم فينا سفيها
ويصوغ الدواة تلقاء هذا لِيُرى خامل الشعور نبيها
مَثَلُ الفيلسوفِ ينفث غياً ثم يأتي لما يروق الفقيها

٤٨_جرس يصيحُ كحاجب طَلْقُ اللسان معربدِ
حيناً ينوح كموجع من لطمة المتعمد
والآن زنَّ كمزهر جسته أنمل معبد
زار الصديق فهزّة من بعد ضغطة جلمد
فحدا كما يحدو الهزا ر على الغصون الميّد
والود يسكن في الحشا لكن يحس من اليد

الثاني عشر : نقولات مختارة من كتاب:

أليس الصبح بقريب للشيخ العلامة محمد الطاهر بن عاشور

«**نبذة عن المؤلف**» :

هو محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، ولد في ضاحية المرسى في تونس سنة ١٢٩٦هـ بقصر جده للأم الصدر الوزير محمد العزيز بو عتور.

وقد شب في أحضان أسرة علمية، ونشأ بين أحضان والد يأمل أن يكون على مثال جده في العلم والنبوغ والعبقرية، وفي رعاية جده لأمه الوزير الذي يحرص على أن يكون خليفة في العلم والسلطان والجاه.

تلقى العلم كأبناء جيله؛ حيث حفظ القرآن، واتجه إلى حفظ المتون السائدة في وقته، ولما بلغ الرابعة عشرة التحق بجامع الزيتونة سنة ١٣١٠، وشرع ينهل من معينه في تعطش وحب للمعرفة، ثم برز ونبغ في شتى العلوم سواء في علوم الشريعة، أو اللغة، أو الآداب أو غيرها.

وله مؤلفات عديدة في شتى الفنون، منها تفسيره المسمى بالتحرير والتنوير، ومقاصد الشريعة، وأصول النظام الاجتماعي في الإسلام، وكشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ، ورد على كتاب الإسلام وأصول الحكم لعلي عبد الرازق، وأصول التقدم في الإسلام، وأصول الإنشاء والخطابة، وغيرها كثير.

توفي رحمه الله يوم الأحد ١٣ رجب ١٣٩٣هـ.

وإذا أردت التوسع في ترجمته فارجع إلى كتاب شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور حياته وآثاره، تأليف د. بلقاسم الغالي.

«**تعريف بالكتاب**» :

هذا الكتاب الذي بين أيدينا سماه مؤلفه : «**أليس الصبح بقريب**»

وقد كتبه رحمه الله عام ١٣٢١هـ وعمره أربع وعشرون سنة.

وقد قصد من كتابه إصلاح التعليم العربي والإسلامي، وتكلم من خلاله على أحوال العلوم الإسلامية، وطرائق تعليمها، وأسباب النهوض والانحطاط العارضين لها.

ويمكن إجمال ما تكلم عليه في ذلك الكتاب الماتع بما يلي :

١ـ أطوار التعليم في الأمة العربية قبل الإسلام، وفي أشهر الأمم المعاصرة للعرب.

٢ـ أطوار التعليم العربي عند ظهور الإسلام وبعد ظهوره.

٣ـ نقل العلوم الفارسية والهندية واليونانية.

٤ـ وصف التعليم الإسلامي وأساليبه، ومناهجه.

٥ـ الطريقة في معرفة أهلية المتصدي للعلم.

٦ـ صفة الدروس، ومواضع التعليم.

٧ـ الكتاتيب، وأوليتها في الإسلام.

٨ـ معاهد تعليم المرأة.

٩ـ تعليم المرأة.

١٠ـ انبثات العلوم الإسلامية في الأقطار : في مصر وأفريقية، والأندلس، وبلاد الفرس، والمغرب الأقصى.

١١ـ مواضع التعليم فيها، وأسلوب التعليم.

١٢ـ طور التفكيرالعلمي، والمشاركة في العلوم.

١٣ـ الكتب التي كانت تزاول.

١٤ـ تفصيل لمواضع التعليم في تونس، وأسماء علماء تونس.

١٥ـ حديث التآليف، وتاريخ أطوارها ووجوه إصلاحها.

١٦ـ حديث عن العلوم، وتفصيل في تقسيمها.

١٧ـ تفصيل عن علوم الشريعة وعلوم اللغة، والمنطق والتاريخ، والفلسفة والرياضيات.

١٨ـ حديث عن المعلمين ومراتبهم.

١٩ـ حديث عن الامتحانات.

٢٠ـ تطرقُ الانتقاد للنظام التدريسي.

إلى غير ذلك من المباحث الرصينة، والتحريرات العالية، والتحقيقات الرائعة الماتعة التي قل أن توجد في غير هذا الكتاب.

ولقد أودع المؤلف رحمه الله هذا الكتاب نظراته الفاحصة، وانتقاداته الموفقة، وآراءه السديدة، ومقترحاته الدقيقة، وملاحظاته القيمة التي كانت سبباً للنهوض بالتعليم في بلاده وغيرها.

كل ذلك بأسلوب أخَّاذ، ولغة عالية، ونَفَس مستريض.

وما أجدر دعاة إصلاح التعليم أن يدرسوا هذا الكتاب، ويفيدوا مما فيه من العلم، والتجارب.

والكتاب يقع في ٢٧٦ صفحة، توزيع الشركة التونسية للتوزيع.

«**نقول من كتاب أليس الصبح بقريب**»:

١ـ قد كان حدا بي حادي الآمال، وأملَى عليّ ضميري، من عام واحد وعشرين وثلاثمائة وألف، للتفكر في طرق إصلاح تعليمنا العربي الإسلامي الذي أشعرتني مدة مزاولته متعلِّماً ومعلِّماً بوافر حاجته إلى الإصلاح الواسع النطاق؛ فعقدت عزمي على تحرير كتاب في الدعوة إلى ذلك وبيان أسبابه، ولم أنشَبْ أن أزجيت بقلمي في ابتداء التحرير فإذا هو يسابقني كأنه من مطايا أبى العلاء القائل:

ولو أن المطي لها عقول وجَدِّك لم نَشُدَ لها رحالا

ص٥

٢ـ وصادفتُ أيام عطلة التدريس الصيفية في ذلك العام، فقضيتُ هواجِرَها الطويلة، وبُكَرها الجميلة، في هذا العمل، مشتغلاً به عن محادثة الأحباب، وعن دَعة التنعم بمغتَسَلٍ بارد وشراب، حتى وقف بي القلم عند انتهاء الاستراحة في مدة شهرين إلى تحرير جملة كانت مشجّعتي على مراجعة عملي هذا في ثلاثة أصياف وعنونته «أليس الصبح بقريب».

وكان من العزم تهذيبه وإصداره، فحالت دون ذلك موانع جمة، لم تزل تطفو وتركد، وتغفو وتسهد، غير أني لم أدع فرصة إلا سعيت إلى إصلاح التعليم فيها بما ينطبق على كثير بحسب ما سمحت به الظروف، وما تيسر من مقاومة صانع منكر ومانع معروف، ما حرك سواكني إلى إبراز هاته الآراء التي

كنت أمليتها، ونشر الأوراق التي خشيت عليها عواصف الأهواء؛ فطويتها. ص٥

٣ـ وهاأنذا متقدم إلى خوض بحر أرى هول أمواجه قد حاد بعقول كثير من ذوي الألباب، فولوا عنه مدبرين، وتكلموا في إصلاحات نافعة من مصالح المسلمين، لكنها كلها كانت متوقفة على هذا المقصد الجليل المغفول عنه «مبدأ إصلاح التعليم».

ولطالما كنت أقدم رجلاً وأؤخر أخرى، وأعلم أن نور عقلي هو دون إضاءة هاته المجاهل التي صفدت عليها منافذ الأنوار والأهوية الخالصة، فامتلأت بالحوامض الرديئة منذ أزمان.

وإذ قد كان من المعلومات المسلمة أن الله ـ تعالى ـ استخلفنا في الأرض ومنَّ علينا بنور العقول ونبهنا باختلاف النظام في الدنيا إلى أحوال الرقي والانحطاط، وقال: ﴿انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ فما طَمَاعِيَتُنا من هذا السكوت الطويل، وما إغراقُنا في هذا السبات العميق؟ ص٦

٤ـ إذاً قد كان واجباً علينا؛ خدمةً للملة، وتهيئة للنشأة العلمية التي تزيِّن مستقبلنا وتمجِّد ماضينا أن ندخل تلك المجاهل نرفع بإحدى يدينا مشاعل النور، ونقطع بالأخرى ما يمانع من حجرات العثور، فإن لم نصل بعدُ إلى غاياتها فعسى أن لا نبعد، وإن سلمنا من أن نشقى باللئام فما ضرنا أن لا نسعد، ولنا في ذلك كله معذرةُ العارفين، وشهادةُ أو تزكيةُ المنصفين. ص٦

٥ـ نحن نشتغل في هذا العالم؛ لنحصل السعادة حيثما توجهنا وذلك بجلب المنافع واتقاء المضار.

فنحن ـ إذاً ـ في أشد الاحتياج إلى العلم بوجوه استقامة الأشغال وهي المراد من التعليم؛ ليكون المتعلم بذلك راضياً عن نفسه، واثقاً بحصول مبتغاه من عمله، ترى ذلك في كل العلوم؛ فكما ترى الرضا عن نفسك في معاشرتك بما اكتسبته من علم تهذيب الأخلاق ترى الرضا عنها في صنائعك إن كنت تصنع وفي سائر أكوانك التي تدخل تحت سلطان إرادتك؛ فلا يسوء ظنك بشيء ما، ولا تكون مكدوداً من القصور عندما ترى نفوساً يسمو بها الارتقاء في أوج المعالي، بل إما أن تسابق معها بجناح، أو تَعْلَمَ ـ بالأقل ـ أن للطيران فرصَ استكمالِ قوةٍ أو مساعدة رياح، كما قال الزمخشري:

يا من يحاول بالأماني رتبتي ... كم بين منخفضٍ وآخرَ راقي

أأبيتُ ليلي ساهراً وتضيعه ... نوماً وتأْملُ بعد ذاك لحاقي

ناهيك بما يجده المتعلم إن بلغ حدَّ أن يكون معلماً من الابتهاج بما يبيِّن للمتعلمين من الحقائق، وما يعالجه من إنشاء أمة مستقلة.

هاته منافع العلوم الحاجية التي تدعو إلى معرفتها حاجة الحياة الاجتماعية، وهي تختلف أعدادها باختلاف الحاجات الداعية ولا يَقْدر أن يحدد عددها أحد، لكنْ لا شك أن تقدم الحضارة يوفر كثرتها.

لأجل هذا كان من واجب كل داع إلى التعليم أن يوضح لطالبيه الغايات التي يحصلونها من مزاولة ذلك التعليم سواء كانت غاية دنيوية أو أخروية؛ لأن لكلتا

الغايتين طُلاباً، فتلك الغاية هي التي يجتني منها المحصل على نهاية ذلك التعليم نفعاً لنفسه دنيوياً وأخروياً، ووراء هاتين غاية هي أسمى وأعظم مما يبدو منها وهي إنتاج قادةٍ للأمة في دينها ودنياها، وهداةٍ هم مصابيح إرشادها، ومحاصد قتادها، ومهدئوا نفوسِها إذا أقلقها اضطراب مِهادَها. ص٧ ـ ٨

٦ـ فالتعليم الصحيح ـ إذاً ـ يرمي إلى إنشاء أرقى أصناف الناس من كل من تمرس بالأشغال والأعمال، أو رُزِقَ المواهبَ الحسنةَ، ورَغِبَ في سلوك خير السبل، وشغف بالمعرفة، وامتاز بحب الواجب والتعقل. ص٩

٧ـ إني على يقين أنني لو أتيح لي في فجر الشباب التشبع من قواعد نظام التعليم والتوجيه لاقتصدت كثيراً من مواهبي ولاكتسبت جَمًّاً، من المعرفة ولسلمت من التَّطَوُّح في طرائق تبين لي بَعدَ حينٍ الارتدادُ عنها، مع أني أشكر ما منحت به من إرشاد قيم من الوالد والجد ومن نصحاء الأساتذة، ولا غنى عن الاستزادة من الخير. ص٩

٨ـ نبحث عن تعليم يفيد ترقية المدارك البشرية، وصقل الفِطَر الطيبة؛ لإضاءة الإنسانية، وإظهارها في أجمل مظاهرها فيخرج صاحبها عن وصف الحيوانية البسيط وهو الشعور بحاجة نفسه خاصة، إلى ما يفكر به في جلب مصلحته ومصلحة غيره بالتحرز من الخلل والخطأ بقدر الطاقة، وبحسب منتهى المدنية في وقته. ص١٢

٩ـ كان العرب في الجاهلية يلقنون أبناءهم وبناتهم ما هم في احتياج إليه من المعارف يُعِدُّونهم بها إلى الكمال المعروف عندهم. ص١٧

١٠_ وسبب اشتهار الشعراء هو أن الشعر ضرب مستحدث من الكلام وأسلوب من المعنى غريب، وهو بجودة وزنه، والتزام قوافيه يتنزل منزلة التوقيعات الموسيقية، فكان يستفز الحليم، ويجرئ الجبان. ص٢١

١١_ حفظ العرب لغتهم من التغيير؛ فعدُّوا الخطأ فيها عيباً يُتعيَّر به، وشهَّروا بأصحاب الفهاهة واللثغة، وأعلنوا بدائع شعرهم وخطبهم في أسواقهم المشهورة أيام مواسم الحج، فكان عِلْمُهُمُ الحقُّ هو أدبَ لُغتِهم، وهو علمهم العقلي الوحيد.

ولهم معارف وتقاليد حافظوا عليها كانوا يعدون العلم بها من صفات الكمال، أهمها معرفة أنسابهم واتصال قبائلهم بعضها ببعض. ص٢١

١٢_ وكان لنسائهم عناية بتعليم البنات تدبيرَ البيت، وحسنَ التبعل للأزواج، والشفقةَ في تربية صغار إخوتهن. ص٢١

١٣_ وأما علم البلاغة، فلم يدوَّن ويُفْرُد بالتسمية والتأليف إلا في القرن الخامس؛ لأنه كان مندرجاً في جملة علم الأدب.

ويقول بعض الناس إن الجاحظَ أولُ من ألَّف فيه، لكنِّي أرى ما ألفه الجاحظ كان غير مصنف وإنما كانت مسائل البلاغة شعبةً من شعب النحو والأدب. ص٣٢

١٤_ ولكن الذي خص علم البلاغة بالتدوين هو الشيخ عبد القاهر الجرجاني (ت سنة ٤٧١هـ) في كتابيه: كتاب دلائل الإعجاز، وكتاب أسرار البلاغة؛ فهو أعطى ألقاباً للمسائل، وأخرج الكلام في الإعجاز عن الصفة

الجزئية إلى قواعد كلية مسهبة مبرهنة.

على أن علم البلاغة لم يصِر فَنَّاً مهذباً إلا منذ صنف فيه الإمام يوسف السَّكَّاكي (ت سنة ٦٢٦هـ) القسم الثالث من كتابه مفتاح علوم العربية. ص٣٣

١٥ـ وكان معاذ هذا ـ يعني الهرَّاء ـ يدَّعي أنه يرى الجن، وَوَضَعَ في أخبارهم كتباً أدبية أثبت فيها شعرهم ومُلَحَهم يريد بذلك الطريقة الروائية والمقامات غير أنه يظهره في صورة جد، فقال له الرشيد: «إن كنت رأيت ما ذكرت لقد رأيت عجباً، وإن كنت ما رأيت لقد وضعت أدباً». ص٣٣

١٦ـ ومما تقدم إلى هنا: تعلم أن العلوم التي كانت تدرس، وتدون يومئذ تنتهي إلى اثنين وثلاثين علماً هي: التفسير، الحديث، السيرة، اللغة، النحو، الصرف، التصوف، العَروض، الفقه، أصوله، التاريخ، الطب، آداب العرب، البلاغة، الفلك، المنطق، الفلسفة، الهندسة، الحساب، الهيئة، الجغرافيا، الموسيقى، علم الحيوان، الطبيعة، الرواية والقصص، الكلام، الصيدلة، الكيمياء، الفلاحة، المساحة، الجبر، جر الأثقال والتحرك، وتتبعها علوم تتفرع عن بعضها مثل مصطلح الحديث، والجدل، وآداب البحث، ونقد الشعر. ص٣٩

١٧ـ تثبت أهلية القارئ لأن يؤخذ عنه القرآن، والعالم لبث العلوم الإسلامية ـ بالاشتهار بين أهل ذلك العلم بأن فلاناً عالم ضابط حافظ. ص٥٢

١٨ـ وكان من الآداب أن تكون بين الحلقة القريبة من الأستاذ وبين أستاذهم مسافة قوس، ويعدون القرب من الأستاذ أكثر من ذلك من سوء التربية. ص٥٤

١٩ـ كان العلم الإسلامي في مصر قد استقر منذ الفتح الإسلامي سنة ١٦ إذ سكن في مصر كثير من الصحابة مثل عمرو بن العاص، وابنه عبد الله بن عمرو، وقيس بن عبادة، وعبيد الله بن محمد المعافري ـ وهو أول من قرأ القرآن بمصر ـ. ص٦٢

٢٠ـ السبب الرابع من أسباب تأخر التعليم: عُرُوٌّ التعليمِ عن مادة الآداب وتهذيب الأخلاق، وشرح العوائد النافعة، وغيرها.

وهو السبب الذي قضى على المسلمين بالانحطاط في الأخلاق والعوائد.

وقد اعتنى المسلمون في صدر الإسلام بذلك فتلقوا آداب القرآن، وهدي الرسول، ثم عززوه في عصور نهضتهم بعلوم آداب الشريعة والمواعظ.

أما إهماله بعد ذلك فسببه تأخر المسلمين وقصور أنظارهم واعتقادهم أن العلم منحصر فيما تتضمنه القواعد العلمية كالنحو، والفقه وبعبارة أخرى ميل طائفة العلماء إلى الحفظ والاستكثار من فروع المسائل ومن عدد العلوم.

ومن العار الكبير أن ترى كثيراً ممن ينتصب لتعليم النشأة تعجبك أجسامهم، وتبهجك بزَّتُهم، وتعظم صورهم.

ولكن ما بينك وبين أن ترمقهم بضد ذلك إلا أن تُحَاكَّهم وتعاشرهم أو تجادلهم؛ فترى تلك الهياكلَ العظيمةَ فارغةً من الفضيلة ومكارم الأخلاق والمروءة، وبذلك رزئت الأمة أنفع عنصر في حياة الأمم وكمالها وهو الأخلاق.

وإذا كانت تلك حالةَ خاصةِ الناس فما ظنك بعامتهم؟ وإذا ذهب وقت التعليم عن الطلبة ولم يتلقوا فيه فضائل الأخلاق فمن العسير أو المتعذر تلقينها

لهم من بعد؛ لأن فيما يدخل فيه المحصل على الشهادة أو نحوه من معترك الحياة شغلاً شاغلاً عن ذلك. ص١٢٤

٢١ـ والواجب من حيث خطتنا التي نريد أن تسير فيها أبناؤنا وتلامذتنا هو التدريب على ضروب الحكمة، ونقد مقتضيات الزمان، وعلو الهمة، والغيرة للحق، والترفعُ عن سخائف المطامع، وعن ضيق الصدر الذي ينشأ عنه الحسد، والظلم، والخصام، والتلطي من كل ما يخالف المقصد، والإقدام، والحزم وأصالة الرأي، وحب النظام في جميع أحوال الحياة، والعمل، وحب التناسب في المظاهر كلها، وإدراك الأشياء على ما هي عليه، والتباعد عن الخفة والطيش، وعن الجمود والكسل، وسوء الاعتقاد، والأمور الوهمية بحيث يكون العدل في جميع الأشياء صفة ذاتية لهم. ص ١٢٥

٢٢ـ نعم نحن نرى أن لا يقع النقد إلا في الدروس العالية، أما التلامذة المبتدئون والمتوسطون في أول الرتبة فإنا نلقي إليهم القواعد، وما كان من رأي فيه نظر ننقحه ونلقيه لهم من غير إشعار بما كان فيه من الخلل وكيف وقع تنقيحه، حتى إني كنت أصرفهم عن سرد الشرح مثلاً متى علمت أن في ذلك الموضع ما لا يصلح تَلَقِّيه. ص١٢٧

٢٣ـ والمشائخ المدرسون ـ وإن بلغوا ما بلغوا من الاجتهاد في التعليم ـ فإن ثمرة اجتهادهم لا تظهر إلا بمقدار نجابة تلامذتهم. ص١٤١

٢٤ـ ونسبة النباهة والتحصيل في التلامذة قليل؛ بسبب إهمال التمرين وترك مراجعة ما يقرؤونه قبل الدرس وبعده، وترك مطالبتهم باستذكار ما تعلموه،

وترك تكليفهم بحفظ المتون حفظاً جيداً، وترك تعويدهم على فهم معنى المتن الذي يحفظونه؛ فإنك لتسأل التلميذ عن المسألة فيعجز عن الجواب، ويتذكر عبارة المتن، ولكنه يبقى يلوكها ولا يكاد يبين عن المراد منها. ص١٥٨

٢٥ـ يؤلِّف في علمٍ مَنْ كان قويَّ الساعد فيه؛ ليمكنه أن يأتي في تأليفه بغرض من أغراض التأليف السبعة التي جمعت في أبيات:

ألا فاعلمن أن التآليف سبعة لكل لبيب في النصيحة خالصِ
فشرحٌ لإغلاقٍ وتصحيحُ مخطئٍ وإبداعُ حَبرٍ مقْدمٍ غيرِ ناكصِ
وترتيبُ منثورٍ وجمعُ مفرقٍ وتقصيرُ تطويلٍ وتتميمُ ناقصِ

ص١٧٠

٢٦ـ **التفسير** شرح مراد الله ـ تعالى ـ من القرآن ليفهمه من لم يصل ذوقه وإدراكه إلى فهم دقائق العربية، وليعتاد بممارسة ذلك فهمَ كلام العرب، وأساليبهم من تلقاء نفسه. ص١٨٤

٢٧ـ **يُقْصد من علم الأصول** ضبطُ القواعد التي يستطيع العالم بها فهمَ أدلة الشريعة؛ ليأخذ منها الأحكام التفريعية.

أرادوا أن يجمعوا فيه ما تتفق فيه الآراء؛ ليرتفع الخلاف في الفقه بعد أن كانت هاته القواعد متفرقة وموكولة لنباهة المجتهدين. ص٢٠٣

٢٨ـ في طبع الإنسان كراهيةُ الرجوعِ إلى من يجترئ عليه، والخلافُ بين العقلاء نادر لو رامو التقارب. ص٢١٠

٢٩ـ وللغة المُضرية شَبَهٌ بالعبرانية والبابلية وسائر اللغات السامية. ص٢١٢

٣٠ـ هل نرجو من تلامذتنا اليوم أن يكونوا فصحاء بلغاء وهم لا يقرع

سمعهم إلا سقط الكلام، ورعونة التعبير، ولا يعرفون معنى الإنشاء والفصاحة؟ ص٢١٥

٣١_ لا عُدة لنا اليوم في الفصاحة إلا القرآن، وناهيك به عدة، ولكن قراءة الناس إياه في الصغر، وإهمال التذكير بمعانيه في المكاتب، والشغل عن درسه في الكبر_ أرزا الناس فائدة عظيمة يبلغون بها رتبة مكينة من علم اللسان. ص٢١٥

٣٢_ فإن كتاب سيبويه اشتمل على مسائل من التقديم، والتأخير، ومعاني الحروف، ومحاسن العطف، ونحوها؛ فكان عمدة علماء البلاغة من بعده وقد قال فيه الزمخشري:

ألا صَلَّى الإله صلاة صدق على عمروِ بنِ عثمانَ بن قُنْبَرْ
فإن كتابه لم يُغْنَ عنه بنو قلم ولا أعوادُ مِنْبَرْ

٣٣_ **علم البلاغة المعاني والبيان والبديع**: تكاثرت الأسماء له؛ فمن الناس من سماه علم البديع لأنه مبدع، ومنهم من سماه البيان لأنه يبين عن المراد، والمتأخرون هم الذين قسموه إلى ثلاثة أقسام:

المعاني: وهو ما يبحث فيه عن مطابقة الكلام لمقتضى حال التعبير.

والبيان: وهو كاسمه يعرف به إيرادُ المعنى بطرق مختلفة في وضوح الدلالة من حقيقة أو مجاز.

والبديع: وهو تحسين المعاني أو الألفاظ بما يجعلها مستظرفة للسامع.

ص٢٢٢ _ ٢٣٢

٣٤_ **يريدون من المنطق** علماً يعصم الأفكار عن الخطأ في المطلوب التصوري الذي تتعرف منه حقيقةُ شيء، وفي المطلوب التصديقي الذي يُتَعرف منه العلمُ

مع دليل ما، وهو من جملة العلوم التي نقلها العرب من اليونانية في عصر النهضة العلمية، وختْمه بالصناعات الخمس: «البرهان، والجدل، والخطابة، والشعر، والسفسطة». ص٢٢٥

٣٥ـ من أخص واجبات الأساتذة أن يكونوا قدوة لتلاميذهم؛ فمن الواجب أن يعرفوهم حب العمل، والسعي لإصلاح أنفسهم وأمتهم، وأن ينشِّؤوهم على خلال المصابرة والشجاعة، والحرية والمروءة، واحترام الحق والعدالة، والعفاف وكرم الأخلاق؛ حتى يكونوا كلهم أعضاءً نافعةً عاملةً سواءٌ منهم من بقي في صناعة العلم، أو من انصرف إلى الأشغال الأخرى وعساهم أن لا يكونوا بعداء عن هذا في مقبل الزمان؛ فإن علماء الأمة زينتها في كل أوان. ص٢٣٥

٣٦ـ ليس العلم رموزاً تُحل، ولا كلماتٍ تُحفظ، ولا انقباضاً وتكلفاً، ولكنه نورُ العقلِ، واعتداله، وصلاحيته لاستعمال الأشياء فيما يحتاج إليه منها؛ فهو استكمال النفس، والتطهر من الغفلة، والتأهل للاستفادة والإفادة.

وما كانت العلوم المتداولة بين الناس إلا خادمةً لهذين الغرضين وهما ارتقاء العقل لإدراك الحقائق، واقتدار صاحبه على إفادة غيره بما أدركه هو. ص٢٣٩

٣٧ـ هذا ما عنَّ إثباته من أحوال العلوم الإسلامية، وطرائق تعليمها، وأسباب النهوض والانحطاط العارضين لها في عديد الأعصر، وقد مضى بعد تقييده زمنٌ غيرُ قصيرٍ تطورت فيه الأحوال إلى أحسنَ تارةً وإلى أسوأَ أخرى، وفي العيان غُنيةٌ عن الإبانة لمن كانت له زكانة.

وقد تحقق العمل بكثير من الملاحظات والمقترحات التي اشتمل عليها هذا

الكتاب ، فأسفر بها وجه الصبح الذي رجوت له قرباً ، ولم أَفْتَىءْ كلما وجدت فجوةً أن أرتقي بالتعليم مرتقىً وإن كان صعباً ، حتى قلتُ إن الصبح أعقب بضحاه ، ورأيت كثيراً من الناصحين توخى سبيلنا وانتحاه ، واللبيب لا يعوزه تنظير الأحوال ، وفي الخبر أن ابن آدم لا ينتهي ما له من آمال ، ونسأل الله عون المسلمين على إصلاح الأحوال. ص٢٦٠

الثالث عشر: نقولات مختارة من كتاب:

وحي القلم لمصطفى صادق الرافعي ١٢٩٨_١٣٥٦

نبذة عن المؤلف:

وهو كتاب من ثلاثة أجزاء قال رحمه الله :

النقول المنتقاة:

١ـ من سقوط النفس أن يغتر الشاب فتاة حتى إذا وافق غرتها مكر بها ، وتركها بعد أن يلبسها عارها الأبدي. ١/ ٢١٢

٢ـ الذي يجد طهارة قلبه يجد سرور قلبه ، وتكون نفسه دائماً جديدة على الدنيا. ١/ ٢٣٢

٣ـ الإيمان وحده هو أكبر علوم الحياة يبصرك إذا عميت في الحادثة ، ويهديك إذا ضللت عن السكينة ، ويجعلك صديق نفسك تكون وإياها على المصيبة ، لا عدوَّها تكون المصيبةُ وإياها عليك. ١/ ٢٣٣

٤ـ إن الشقاء في هذه الدنيا إنما يجره على الإنسان أن يعمل في دفع الأحزان عن نفسه بمقارفة الشهوات ، وبإحساسه غرور القلب؛ وبهذا يبعد الأحزان عن نفسه؛ ليجلبها على نفسه بصورة أخرى. ١/ ٢٣٩

٥ـ فكل ما تراه من أساليب التجميل والزينة على وجوه الفتيات وأجسامهن في الطرق ـ فلا تَعدَّنَّهُ من فَرْط الجمال ، بل من قلة الحياء. ١/ ٣٠٢

٦ـ ويقول رحمه الله متحدثا عن اللقطاء :«ههنا باعث الشهوة قد عجز أن يَسْمُوَ سموَّه ـ وما سُمُوُّه إلا الزواج ـ فتسفَّل وانحط ، ورجع فسقاً ، وعاد أوله على

آخره، كان أوله جُرْماً، فلا يزال إلى آخره جرماً، ولا يزال أبداً يعود أوله على آخره؛ فلما حملت المرأة، وفاءت إلى أمرها، وذهب عنها جنون الرجل والرجل معاً _ انطوت على الثأر، والحقد، والضغينة؛ فلا يكون ابن العار إلا ابن هذه الشرور أيضاً.

والأمهات يعدون لأجنتهن الثياب والأكسية قبل أن يولدوا ويهيئن لهم بالفكر آمالاً وأحلاماً في الحياة؛ فيكسبنهم في بطونهن شعور الفرح، والابتهاج، وارتقاب الحياة الهنيئة، والرغبة في السمو بها.

ولكن أمهات هؤلاء يعدون لهم الشوارع، والأزقَّة منذ البدء، ولا ترتقب إحداهن طول حملها أن يجيئها الوليد، بل أن يتركها حياً، أو مقتولاً، فيورثنهم بذلك _ وهم أجنة _ شعور اللهفة، والحسرة، والبغض، والمقت، ويَطْبَعْنَهُمْ على فكرة الخطيئة، والرغبة في القتل؛ فلا يكون ابن العار إلا ابن هذه الرذائل.

وتظل الفاسقة مدة حملها تسعة أشهر في إحساس خائف مترقب منفرد منعزل عن الإنسانية ناقم متبرم متستر منافق.

ومتى ألقت الفاسقة ذا بطنها قطعته لتوه من روابط أهله وزمنه، وتاريخه، ورمت به؛ ليموت، فإن هلك فقد هلك، وإن عاش لمثل هذه الحياة فهو موت آخر شر من ذلك.

ومهما يتوله الناس، والمحسنون، فلا يزال أوله يعود على آخره؛ مما في دمه، وطباعه الموروثة، ولا يبرح جريمة ممتدة، متطاولة، ولا ينفك قصة فيها زانٍ وزانية، وفيها خطيئة ولعنة.

فهؤلاء كما رأيت أولاد الجرأة على الله، والتعدي على الناس، والاستخفاف بالشرائع، والاستهزاء بالفضائل.

وهم البغض الخارج من الحب، والوقاحة الآتية من الخجل، والاستهتار المنبعث من الندامة.

وكل منهم مسألة شر تطلب حلها، وتعقيدها من الدنيا، وفيهم دماء فوارة تجمع سمومها شيئاً فشيئاً كلما كبروا سَنَةً فسنة. ١/٣٠٩_٣١٠

٧_ ويا حسرتا على هؤلاء الصغار المساكين؛ إن حياة الأطفال فيما فوق مادة الحياة _ أي في سرورهم وأفراحهم _ وحياة هؤلاء البائسين فيما هو دون مادة الحياة، أي في وجودهم فقط.

وكِبَرُ الأطفال يكون منه إدخالهم في نظام الحياة، وكِبَرُ هؤلاء إخراجهم من الملجأ، وهو كل النظام في دنياهم ليس بعده إلا التشريد، والفقر، وابتداء القصة المحزنة. ١/ ٣١١

٨_ وهؤلاء اللقطاء في حياة العامة قد نزعت منها الأم والأب؛ فليس لهم ماض كالأطفال، وكأنهم يبدؤون من أنفسهم لا من الأباء والأمهات. ١/ ٣١٢

٩_ عجباً! إن سيئات اللصوص والقتلة كلها يُنسى، ويتلاشى، وسيئات العشاق والمحبين تكبر. ١/ ٣١٢

١٠_ ولكن المرأة هي التي خلقت؛ لتكون للرجل مادة الفضيلة، والصبر، والإيمان، فتكون له وحياً، وإلهاماً، وعزاءً، وقوة، أي زيادة في سروره، ونقصاً في آلامه.

ولن تكون المرأة في الحياة أعظم من الرجل إلا بشيء واحد، هو صفاتها التي تجعل رجلها أعظم منها. ٢/ ١٥١

١١ _ فمهما تكن الزوجة شقية بزوجها فإن زوجها قد أولدها سعادتها، وهذه وحدها مزية ونعمة. ١/ ٢٩٢

١٢_ أما الفتاة فكانت في الأكثر للزواج، فعادت في الأقل للزواج، وفي الأكثر للهو والغزل.

وكان لها في النفوس وقار الأم، وحرمة الزوجة، فاجترأ عليها الشبان اجترائهم على الخليعة الساقطة.

وكانت مقصورة لا تنال بعيب، ولا يتوجه عليها ذم، فمشت إلى عيوبها بقدميها، ومشت إليها العيوب بأقدام كثيرة.

وكانت بجملتها امرأة واحدة، فعادت مما ترى، وتعرف، وتكابد كأن جسمها امرأة، وقلبها امرأة أخرى، وأعصابها امرأة ثالثة. ١/ ١٦٢ _ ١٦٣

١٣_ انظر ما فعلت كلمة الحرية بكلمة التقاليد، وكيف أصبحت هذه الكلمة السامية من مبذوء الكلام، ومكروهه، حتى صارت غير طبيعية في هذه الحضارة، ثم كيف أحالتها، فجعلتها في هذا العصر أشهر كلمة يتهكم بها على الدين، والشرف، وقانون العرف الاجتماعي في خوف المعرة والدنيئة، والتصاون من الرذائل، والمبالاة بالفضائل؛ فكل ذلك «تقاليد».

وقد أخذت الفتيات المتعلمات هذه الكلمة بمعانيها تلك، وأجرينها في اعتبارهن مكروهة وحشية، وأضفن إليها من المعاني حواشي أخرى، حتى ليكاد الأب والأم يكونان عند أكثر المتعلمات من «التقاليد».

أهي كلمة أبدعتها الحرية؟ أم أبدعها جهل العصر وحماقته، وفجوره، وإلحاده؟

أهي كلمة تَعْلَقُها الفتيات المتعلمات لأنها لغة من اللغة؟ أم لأنها لغة ما يحببن؟

«تقاليد» ؟ فما هي المرأة بدون هذه التقاليد؟ إنها البلاد الجميلة بغير جيش، إنها الكنز المخبوء مُعَرَّضاً لأعين اللصوص تحوطه الغفلة لا المراقبة.

هب الناس كلهم شرفاء متعففين متصاونين _ فإن معنى كلمة «كنز» متى تركت له الحرية، وأغفل من تقاليد الحراسة أوجدت حريته هذه بنفسها معنى كلمة «لص». ١/ ١٦٣ _ ١٦٤

١٤_ العلم للمرأة، لكن بشرط، أن يكون الأب وهيبة الأب أمراً مقرراً في العلم، والأخ وطاعة الأخ من حقائق العلم، والزوج وسيادة الزوج شيئاً ثابتاً في العلم، والاجتماع وزواجره الدينية والاجتماعية قضايا لا ينسخها العلم.

بهذا وحده يكون النساء في كل أمة مصانع عملية للفضيلة، والكمال، والإنسانية، ويبدأ تاريخ الطفل بأسباب الرجولة التامة؛ لأنه يبدأ من المرأة التامة.

بغير هذا الشرط فالمرأة الفلاحة في حجرها طفل قذر هي خير للأمة من أكبر أديبة تخرج ذرية من الكتب. ١ / ١٦٩

١٥_ شرف المرأة رأس مال للمرأة. ١/ ١٧١

١٦_ يجاهدن مجاهدة كل شريف عظيم النفس، همه أن يكون الشرف أو لا يكون شيء، ويرى الغافل أن مثلهن هالكات في تعب الجهاد، ويعلمن من أنفسهن غير ما يرى ذلك المسكين، يعلمن أن ذلك التعب هو لذة النصر بعينها.

كانت أنوثتهن أبداً صاعدة متسامية فوق موضعها بهذه القناعة، وبهذه التقوى، ولا تزال متسامية صاعدة على حين تنزل المطامع بأنوثة المرأة دون موضعها، ولا تزال أنوثتها تنحدر ما بقيت المرأة تطمع، ورب ملكة جعلتها مطامع الحياة في الدرك الأسفل، وهي باسمها في الوهم الأعلى. ١/ ١٣١

١٧_ احذري تهوس الأوربية في طلب المساواة بالرجل، لقد ساوته في الذهاب إلى الحلاق، ولكن الحلاق لم يجد اللحية. ١/ ٢٦٤

١٨_ احذري أن تخسري الطباع التي هي الأليق بأم أنجبت الأنبياء في الشرق، أمٍّ عليها طابعُ النفس الجميلة، تنشر في كل موضع جوَّ نفسها العالية؛ فلو صارت الحياة غيماً، ورعداً، وبرقاً لكانت الشمسَ الطالعةَ.

ولو صارت قيظاً، وحروراً، واختناقاً _ لكانت هي النسيمَ يتخطَّر.

أم لا تبالي إلا أخلاق البطولة، وعزائمها؛ لأن جداتها ولدن الأبطال. ١/ ٢٦٤ _ ٢٦٥

١٩_ يظنون أننا في زمن إزاحة العقبات النسائية واحدة واحدة من حرية المرأة وعلمها.

أما أنا فأرى حرية المرأة وعلمها لا يوجدان إلا في العقبات النسائية عقبة بعد عقبة. ١٦٢/١

٢١_ إن نفس الأنثى لرجل واحد؛ لزوجها وحده. ١/ ١٣١

٢٢_ وما هو الحجاب إلا حفظ روحانية المرأة للمرأة، وإغلاء سعرها في الاجتماع، وصونها من التبذل الممقوت؛ لضبطها في حدود كحدود الربح من

هذا القانون الصارم: قانون العرض والطلب، والارتفاع بها أن تكون سلعة بائرة ينادى عليها في مدراج الطرق والأسواق. ١ / ١٩٠

٢٣ـ ولقد جاءت إلى مصر كاتبة إنجليزية، وأقامت أشهراً تخالط النساء المتحجبات، وتدرس معاني الحجاب، فلما رجعت إلى بلادها كتبت مقالاً عنوانه: «سؤال أحمله من الشرق إلى المرأة الغربية» قالت في آخره: إذا كانت هذه الحرية التي كسبناها أخيراً، وهذا التنافس الجنسي، وتجريد الجنسين من الحجب المشوقة الباعثة التي أقامتها الطبيعة بينهما ـ إذا كان هذا سيصبح أثره أن يتولى الرجال عن النساء، وأن يزول من القلوب كل ما يحرك أوتار الحب الزواجي ـ فما الذي نكون قد ربحناه؟! لقد ـ والله ـ تضطرنا هذه الحال إلى تغيير خططنا، بل تستقر طوعاً وراء الحجاب الشرقي؛ لنتعلم من جديد فن الحب الحقيقي. ١/ ٢٠٥

٢٤ـ ليس لامرأة فاضلةٍ إلا رجلها الواحد؛ فالرجال جميعاً مصائبها إلا واحداً. ١/ ٢٦٥

٢٥ـ احذري أن تخدعي عن نفسك؛ إن المرأة أشد افتقاراً إلى الشرف منها إلى الحياة.

إن الكلمة الخادعة إذ تقال لك هي أخت الكلمة التي تقال ساعة إنفاذ الحكم للمحكوم عليه بالشنق؛ يغترونك بكلمات: الحب، والزواج، والمال كما يقال للصاعد إلى الشنَّاقة ماذا تشتهي؟ ماذا تريد؟.

الحب؟ الزواج؟ المال؟ هذه صلاة الثعلب حين يتظاهر بالتقوى أمام الدجاجة.

الحب؟الزواج؟المال؟يا لحم الدجاجة! بعض كلمات الثعلب هي أنياب الثعلب.

أيتها الشرقية! احذري، احذري. ١/ ٢٦٦

٢٦_ لو كان العار في بئر عميقة لقلبها الشيطان مئذنة ووقف عليها يؤذن.

يفرح اللعين بفضيحة المرأة خاصة كما يفرح أب غني بمولود جديد في بيته.

واللص، والقاتل، والسكير، والفاسق كل هؤلاء على ظهر الإنسانية كالحر والبرد.

أما المرأة حين تسقط فهذه من تحت الإنسانية؛ هي الزلزلة، ليس أفظع من الزلزلة المُرْتَجَّة تشق الأرض إلا عار المرأة حين يشق الأسرة.

أيتها الشرقية! احذري، احذري. ١/ ٢٦٧

٢٧_ إن الساقطة لا تنظر في المرآة أكثر ما تنظر إلا ابتغاء أن تتعهد من جمالها، وجسمها مواقع نظرات الفجور، وأسباب الفتنة، وما يستهوي الرجل، وما يفسد العفة عليه؛ فكأن الساقطة، وخيالها في المرآة رجل فاسق، ينظر إلى امرأة فاسقة لا امرأة تنظر إلى نفسها. ١/ ٧٧

٢٨_ احذري السقوط؛ إن سقوط المرأة؛ لهوله، وشدته ثلاث مصائب في مصيبة: سقوطها هي، وسقوط من أوجدها، وسقوط من توجدهم.

نوائب الأسرة قد يسترها البيت إلا عار المرأة. ١/ ٢٦٦ _ ٢٦٧

٢٩_ والمرأة التي لا يحميها الشرف لا يحميها شيء، وكل شريفة تعلم أن لها حياتين: إحداهما العفة.

وكما تدافع عن حياتها الهلاك تدافع السقوط عن عفتها؛ إذ هو هلاك حقيقتها

الاجتماعية.

وكل عاقلة تعلم أن لها عقلين: تحتمي بأحدهما من نزوات الآخر، وما عقلها الثاني إلا شرف عرضها. ١/ ٩٣

٣٠_ وأساس الفضيلة في الأنوثة الحياء؛ فيجب أن تعلم الفتاة أن الأنثى متى خرجت من حيائها، وتهجمت _ أي توقحت أي تبذلت _ استوى عندها أن تذهب يميناً أو شمالاً، وتهيأت لكل منهما، ولأيٍّ اتفق.

وصاحبات اليمين في كنف الزوج وظل الأسرة، وشرف الحياة...

وصاحبات الشمال ما صاحبات الشمال... ١/ ٣٠٢

٣١_ إن السعادة الإنسانية الصحيحة هي العطاء دون الأخذ، وإن الزائفة هي الأخذ دون العطاء، وذلك آخر ما انتهت إليه فلسفة الأخلاق. ص٣/ ١٣

٣٢_ متى ما وقع الخلاف بين اثنين وكانت النية صادقة مخلصة _ لم يكن اختلافهما إلا من تنوع الرأي، وانتهيا إلى الاتفاق بغلبة أقوى الرأيين، ما من ذلك من بد. ٢/ ٣١٥

٣٣_ وأما ضعف الهمة، فمنزلة الحيوان الذي لا هم له إلا أن يوجد كيفما وجد، وحيثما جاء موضعه من الوجود؛ إذ هو يولد ويكدح، ويكد؛ ليكون لحماً، وعظماً، وصوفاً، ووبراً، وشعراً أثاثاً، ومتاعاً، وكأنه ضرب من النبات إلا أنه نوع آخر من المنفعة. ٣ / ٣٧٩

٣٤_ الأشياء الكثيرة لا تكثر في النفس المطمئنة، وبذلك تعيش النفس هادئة مستريحة، كأن ليس في الدنيا إلا أشياؤها الميسرة.

أما النفوس المضطربة بأطماعها، وشهواتها فهي التي تبتلى بكثرة الهموم الخيالية. ١/ ٣١

٣٥_ في جمال النفس ترى الجمال ضرورة من ضرورات الحياة؛ ويْ كأن الله أمر العالم ألا يعبس للقلب المبتسم. ١/ ٤٨

٣٦_ ليس اللذة في الراحة، ولا الفراغ، ولكنها في التعب، والكدح، والمشقة؛ حين تتحول أياماً إلى راحة وفراغ. ١/ ٤٨

٣٧_ إذا استقبلت العالم بالنفس الواسعة رأيت حقائق السرور تزيد وتتسع، وحقائق الهموم تصغر وتضيق، وأدركت أن دنياك إذا ضاقت فأنت الضيق لا هي. ١/ ٥٠

٣٨_ من مصائبنا _ نحن الشرقيين _ أننا لا نأخذ الرذائل كما هي، بل نزيد عليها ضعفنا فإذا هي رذائل مضاعفة. ١/ ٢٠٤

٣٩_ إن سمو الرجل بنفسه عن الزوجة والولد طيران إلى الأعلى، ولكنه طيران على أجنحة الشياطين، طيران بالرجل إلى فوهة البركان الذي في الأعلى. ١/ ٢٨٨

٤٠_ إن الذي تكتنفه رحمة الله يملك بها دنيا نفسه؛ فما عليه بعد ذلك أن تفوته دنيا غيره، وإن الذي يجد طهارة قلبه يجد سرور قلبه، وتكون نفسه دائماً جديدة على الدنيا، وإن الذي يحيا بالثقة تحييه الثقة، وإن الذي لا يبالي بالهم لا يبالي الهم به، وأن زينة الدنيا ومتاعها وغرورها، وما تجلب من الهم _ كل ذلك من صغر العقل في الإيمان حين يكبر العقل في العلم. ١/ ٢٣٢

٤١ـ بعض الشياطين يخدع الناس عن جهنم بتبريد معانيها. ١ / ٢٥٦

٤٢ـ القلب المسالم يخلع الدنيا، ويسمو بكل مضنون فيها، فيعف عن كثير، ويعرف الإنسانية، ويطمع في غاياتها العليا فيعفو عن كثير، ويدرك أن الحلال ـ وإن حل ـ فوراءه حسابه، وإن الحرام ـ وإن غرَّ ـ ليس إلا تَعَلُّلُ ساعةٍ ذاهبة، ثم وراءه عقاب الأبد. ٢ / ٧

٤٣ـ ولا يضطرب من شيء؛ وكيف يضطرب ومعه الاستقرار؟ لا يخاف من شيء؛ وكيف يخاف ومعه الطمأنينة؟ لا يخشى مخلوقاً؛ وكيف يخشى ومعه الله؟. ٢ / ١٧١

٤٤ـ فمن ألزم نفسه الجود، والإنفاق راضها رياضة عملية كرياضة العضل بأثقال الحديد، ومعاناة القوة في الصراع و نحوه.

أما الشح فلا يناقض تلك الطبيعة، ولكنها يدعها جامدة مستعصية، لا تلين، ولا تستجيب، ولا تتيسر. ٣ / ١٤٥

٤٥ـ إن يوماً باقياً من العمر هو للمؤمن عُمُرٌ ما ينبغي أن يستهان به. ١ / ٢٣٥

٤٦ـ بكلمة يكون الإحساس فاسداً، وبكلمة يكون شريفاً. ١ / ٢٦٦

٤٧ـ وما هو الحجاب الشرعي إلا أن يكون تربية عملية على طريقة استحكام العادة لأسمى طباعِ المرأةِ وأخصُّها الرحمةُ، هذه الصفة النادرة التي يقوم الاجتماع الإنساني على نزعها، والمنازعة فيها ما دامت سنة الحياة نزاع البقاء، فيكون البيت اجتماعاً خاصاً مسالماً للفرد، تحفظ المرأة به منزلتها، وتؤدي فيه عملها، وتكون مغرساً للإنسانية، وغارسة لصفاتها معاً. ١ / ١٩٦

٤٨_ وما كان الحجاب مضروباً على المرأة نفسها، بل على حدود الأخلاق أن تجاوزَ مقدارَها، أو يخالطها السوء، أويتدسس إليها؛ فكل ما أدى إلى هذه الغاية فهو حجاب، وليس يؤدي إليها شيء إلا أن تكون المرأة في دائرة بيتها، ثم إنساناً فقط فيما وراء هذه الدائرة إلى آخر حدود المعاني. ١ / ١٩٧

٤٩_ فوراء الحجاب الشرعي الصحيح معاني التوازن، والاستقرار، والهدوء، والاطراد، وأخلاق هذه المعاني وروحها الديني القوي الذي ينشئ عجيبة الأخلاق الإنسانية كلها، أي صبر المرأة وإيثارها.

وعلى هذين تقوم قوة المدافعة، وهذه القوة هي تمام الأخلاق الأدبية كلها، وهي سر المرأة الكاملة؛ فلن تجد الأخلاق على أتمها، وأحسنها، وأقواها إلا في المرأة ذات الدين، والصبر، والمدافعة. ١ / ١٩٧

٥٠_ يا ويل المرأة حين تنفجر أنوثتها بالمبالغة؛ فتنفجر بالدواهي على الفضيلة. ١ / ٢٦٤

٥١_ وحقيقة الحجاب أنه الفصل بين الشرف فيه الميل إلى النزول، وبين الخسة فيها الميل إلى الصعود.

فيك طبائع الحب، والحنان، والإيثار، والإخلاص، كلما كَبِرتِ كَبُرتْ.

طبائع خطرة إن عملت في غير موضعها جاء بعكس ما تعمله في موضعها.

فيها كل الشرف ما لم تنخدع، فإذا انخدعت فليس إلا كل العار. ١/٢٦٥_٢٦٦

٥٢_ احذري كلمة شيطانية تسمعينها: هي فنية الجمال، أو فنية الأنوثة، وافهميها أنت هكذا: واجبات الأنوثة، وواجبات الجمال. ١ / ٢٦٦

٥٣_ على أن هذا الذي يسميه القوم حرية ليس حرية إلا في التسمية، أما في المعنى فهو كما ترى: **إما شرود المرأة في التماس الرزق**، حين لم تجد الزوج الذي يعولها، أو يكفيها، ويقيم لها ما تحتاج إليه؛ فمثل هذه حرية النكد في عيشها، وليس بها حرية، بل هي مستعبدة للعمل شر ما تستعبد امرأة.

وإما انطلاق المرأة في عبثاتها، وشهواتها مستجيبة لشهواتها بذلك إلى انطلاق حرية الاستمتاع بالرجال بمقدار ما يشتريه المال، أو تعين عليه القوة، أو يسوِّغه الطيش، أو يجلبه التهتك، أو تدعو إليه الفنون؛ فمثل هذه هي حرة حرية سقوطها، وما بها الحرية، بل يستعبدها التمتع.

والثالثة: حرية المرأة في انسلاخها من الدين وفضائله؛ فإن هذه المدنية قد نسخت حرام الأديان وحلالها بحرام وحلال قانوني؛ فلا مَسْقَطة للمرأة، ولا غضاضة عليها قانوناً فيما كان يعد من قبل خزياً أقبح الخزي، وعاراً أشد العار؛ فمثل هذه هي حرة حرية فسادها، وليس بها الحرية، ولكن تستعبدها الفوضى.

والرابعة: غطرسة المرأة المتعلمة، وكبرياؤها على الأنوثة والذكورة معاً، فترى أن الرجل لم يبلغ بعد أن يكون الزوج الناعم كقفاز الحرير في يدها، ولا الزوج المؤنث الذي يقول لها: نحن امرأتان؛ فهي من أجل ذلك مطلقة مُخَلاة؛ كيلا يكون عليها سلطان، ولا إمْرة؛ فمثل هذه حرة بانقلاب طبيعتها وزيفها، وهي مستعبدة لهوسها، وشذوذها، وضلالها.

حرية المرأة في هذه المدنية أوَّلها ما شئت من أوصاف وأسماء، ولكن آخرها دائماً: إما ضياع المرأة، وإما فساد المرأة. ١ / ٢٩٤ _ ٢٩٥

٥٤_ وما أول الدعارة إلا أن تمد المرأة طَرْفَها من غير حياء كما يمد اللص يده من غير أمانة. ١ / ٢٩٧

٥٥_ وهذه الزينة تتصنع بها المرأة تكاد تكون صورة المكر و الخداع ، والتعقد وكلما أسرفت في هذه أسرفت في تلك.

بل الزينة لوجه المرأة وجسمها سلاح من أسلحة المعاني كالأظافر ، والمخالب ، والأنياب ، غير أن هذه لوحشية الطبيعة الحية المفترسة ، وتلك لوحشية الغريزة الحية التي تريد أن تفترس. ٢ / ٦٣

الرابع عشر : نقولات مختارة من كتاب:

آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، وعيون البصائر

وقد طبعت مؤخراً طبعة جديدة بعنوان: «**آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي**» في ٥ مجلدات، والنقول الآتية من الطبعة الأولى وعيون البصائر.

«**نبذة عن المؤلف**»:

هو الشيخ العلامة محمد البشير الإبراهيمي ولد عند طلوع الشمس من يوم الخميس الثالث عشر من شهر شوال عام ١٣٠٦ هـ، وتوفي عام ١٣٨٥هـ.

وهبه الله حافظة خارقة، وذاكرة عجيبة تشهدان بصدق ما يحكى عنه السلف.

وكانتا معينتين له في العلم في سن مبكرة.

تلقى التعليم في بيت أسرته، وقام على تربيته وتعليمه عمُّه الشيخ محمد المكي الإبراهيمي الذي كان علامة زمان في العربية.

بدأ في حفظ القرآن والتعليم في الثالثة من عمره، وأتقن القرآن حفظاً في السابعة من عمره، وحفظ كثيراً من المتون في مختلف الفنون، وحفظ العديد من الدواوين الشعرية، وكان يحفظ من سماع واحد.

كان من أبرز علماء الجزائر، ومن طليعة المجاهدين للاستعمار، والدجل، والبدع، والخرافات.

وكان من الشجعان المغاوير، وكان في طليعة العاملين على إحياء العلوم الدينية والعربية في الجزائر.

ويرجع الفضل ـ بعد الله ـ إليه وإلى الشيخ عبد الحميد بن باديس في تكوين

جمعية العلماء في الجزائر.

وكان شديد العناية بأمور المسلمين وقضاياهم.

كان خطيباً مِصْقَعَاً، وشاعراً مُفْلِقَاً، وكاتباً بارعاً.

وقد خلف آثاراً جمعت في خمس مجلدات، اسمها «**آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي**».

وإذا أردت مزيداً من ترجمته فارجع إلى تلك الآثار، وارجع إلى:

«**الصداقة بين العلماء**» لكاتب هذه الصفحات.

«نماذج لما جاء في كتب الشيخ محمد البشير»

١ـ العاقل من جارى العقلاء في أعمالهم في دائرة دينه، ووجدانه. ١/١٤

٢ـ والحازم من لم يرض لنفسه أخسَّ المنازل، وأخسُّ المنازل للرجل منزل القول بلا عمل، وأخسُّ منها أن يكون الرجل كالدفتر يحكي ما قال الرجال، وما فعل الرجال دون أن يضرب معهم في الأعمال الصالحة بنصيب، أو يرمي في معترك الآراء بالسهم المصيب. ١/١٤

٣ـ إنَّ تغافل الإنسان عن عيبه لمن دواعي الغرورِ، والغرور من دواعي التمادي في الغي، والتمادي في الغي من موجبات الهلاك، وهل نقيصة أعظم من فقد الإحساس؟ ١/١٥

٤ـ إن الكمال، والنقص وَصْفَانِ يتعاقبان على الفرد كما يتعاقبان على المجموع. ١/١٣٩

٥ـ فحرر القرآن أرواحها من العبودية للأوثان الحجرية والبشرية، وحرر

أبدانها من الطاعة والخضوع لجبروت الكسروية القيصرية، وجلا عقولها على النور الإلهي؛ فأصبحت تلك العقول كشافة عن الحقائق العليا، وطهر نفوسها من أدران السقوط والإسفاف إلى الدنايا؛ فأصبحت تلك النفوس نزّاعة إلى المعالي، مقدمة على العظائم. ١/٨٨

٦_ وعَلَّمها لأول مرة في التاريخ كيف يستغل الإنسان استعداده، وفكره، ففتح أمامه ميادين التفكر والاعتبار، وأمره أن يسير في الأرض، ويمشي في جوانبها، ويتفكر في ملكوت السماوات والأرض. ١/٨٩

٧_ وبهذه الروح القرآنية اندفعت تلك النفوس بأصحابها تفتح الآذان قبل البلدان، وتمتلك بالعدل والإحسانِ الأرواح قبل الأشباح. ١/٨٩

٨_ فلم يزل بها هذا القران، حتى أخرج من رعاة النعم رعاة الأمم، ومن خمول الجهل والأمية أعلام العلم والحكمة. ١/٩٣

٩_ فالقرآن هو الذي رباها، وأدبها، وزكى منها النفوس، وصفى القرائح، وأذكى الفِطَن، وجلا المواهب، وأرهف العزائم، وهذب الأفكار، وأعلى الهمم، واستفز الشواعر، واستثار القوى، وصقل الملكات، وقوى الإرادات، ومكن للخير في النفوس، وغرس الإيمان في الأفئدة، وملأ القلوب بالرحمة، وحفز الأيدي للعمل النافع، والأرجل للسعي المثمر، ثم ساق هذه القوى على ما في الأرض من شر، وباطل، وفساد فطهرها منه تطهيراً، وعمرها بالخير والحق تعميراً. ١/٢٥٢_ ٢٥٣

١٠_ إننا مرضى، ومن بلاء المريض رفق الطبيب به؛ إن رفق الطبيب خيانة

لفنِّه، وقدح في أمانته، وزيادة في البلاء على مريضه؛ وما خير رفق ساعة يتجرع المريض بسببه آلام السنين؟ ٣٥١/١

١١_ إن القيم المعنوية في الرجال من زكا ء النفس، وعلو الهمة، وإطاعة أوامر الله _ هو الجانب المعتبر في حياة الرجال. ١٨٨/٣

١٢_ وشتان بين من يسترخص الموت من أجل الحياة، وبين من يحاولها لإرضاء الشهوات: شهوات القلب، ومحبة السمعة الزائفة. ١٨٨/٣

١٣_ إن الحياة بلا سعادة قدر مشترك بيننا وبين النمل على ضعفه، والحمار على ذله وخسفه، والجمل على إذلاله وتسخيره؛ فإذا كنتم اليوم تُسَمَّون أحياءاً فمن هذا النوع. ٢٣٩/٣

١٤_ الأعمال الكبيرة إذا توازعتها الأيدي، وتقاسمتها الهمم _ هان حملها، وخف ثقلها، وإن بلغت من العظم ما بلغت. ٢٤٥/٣

١٥_ سيقول القانعون باليسير من جبناء العزائم، وقصار النظر، المكتفون بالمخايل وهي سراب عن المعصرات وهي شراب إن هذا هول هائل، وقول لا تسعه إلا لهاة القائل، ومرام صعب تضيق به قدرة الشعب. ٢٤٨/٣

١٦_ الإسلام روح تجري، ونفحة تسري، وحقيقة ليس بينها وبين قبولها إلا مواجهتها لها، وليس بين النفوس وبين الإذعان لها إلا إشرافها عليها من مجاليها الأولى. ٢٧/٣

١٧_ وإنما مكنت للإسلام طبيعته، ويسره، ولطف مدخله على النفوس، وملاءمته للفطر، والأذواق، والعقول.

ولو بقي الإسلام على روحانيته القوية، ونورانيته المشرقة، ولو لم يفسده أهله بما أدخلوه عليه من بدع، وشانوه به من ضلال _ لطبق الخافقين، ولجمع أبناءه على القوة، والعزة، والسيادة، حتى يتملكوا به الكون كله.

ولكنهم أفسدوه، واختلفوا فيه، وفرقوه شيعاً، ومذاهب؛ فضعف تأثرهم به؛ فضعف تأثيره فيهم؛ فصاروا إلى ما نرى، ونسمع. ٢٧٣/٣

١٨_ إن أمة تنفق مئات الملايين في الشهر على القهوة والدخان، وتنفق مثلها على المحرمات، وتنفق مثلها على البدع الضارة، وتنفق أمثال ذلك كله على الكماليات التي تنقص الحياة، ولا تزيد فيها، ثم تدعي الفقر إذا دعاها داعي العلم لما يحيها _ لأمة كاذبة على الله، سفيهة في تصرفاتها. ٣٤٥/٣

١٩_ وأوصيه بالروية في الرأي، والأناة في الحكم على الأشياء؛ فإن الارتجال مجلبة ندم. ٣٥٥/٣

٢٠_ المال الذي تنفقه في المحرمات يسوقك إلى النار، والمال الذي تبدده في الشهوات يجلب لك العار، والمال الذي تدخره للورثة الجاهلين تهديه إلى الأشرار، وتبوء أنت بالتبار و الخسار.

أما المال الذي تحيي به العلم، وتميت به الجهل _ فهو الذي يتوجك في الدنيا بتاج الفخار، وينزلك عند الله منزلة الأبرار. ٣٦٥/٣ _ ٣٦٦

٢١_ ليس من سداد الرأي أن يضيع الضعيف وقته في لوم الأقوياء، وليس من المجدي أن يدخل معهم في جدل؛ إن من تمام معنى اللوم أن يتسبب في توبة، أو يجر إلى إنابة. ٣٨٥/٣

٢٢_ ولا نقول ربحنا أو خسرنا؛ فالربح والخسارة من مفردات قاموس التجار.

أما الجهاد الذي غايته تثبيت الحقائق الإلهية في الأرض، وغرس البذور الروحية في الوجود _ فلغته سماوية لا تحمل معنى التراب، متسامية لا تسف إلى ما تحت السحاب. ٤/٢٧٦

٢٣_ خدرنا الغرب بالوطنيات الضيقة؛ فأصبح كل فريق قانعاً بجحر الضب، يناضل بمثل سلاح الضب، وهيهات إذا مزقت الأطراف أن يُحْفظ القلب. ٤/٢٨٧

٢٤_ ولأن يسكت العاقل مختاراً في وقت يحسن السكوت فيه خيرٌ من أن ينطق مختاراً في وقت لا يحسن الكلام فيه. عيون البصائر ص١٧

٢٥_ وكلُّ نَطْقَةٍ تمليها الظروف لا الضمائر تثمر سكتة عن الحق، ما من ذلك من بد. عيون البصائر ١٧

٢٦_ أما وظيفة السيف والرمح فهي الإنكاء في العدو، والإنكاء في العدو هو الغاية التي تنتهي إليها شجاعة الشجاع.

كذلك حملة الألسنة والأقلام يجب أن يكونوا؛ ليحققوا التشبيه الذي تواطأت عليه الأمم؛ فلتأتِهم المصائب من كل صوب، ولتنزل عليهم الضرورات من كل سماء، وليخرجوا من كل شيء إلا شيئين: القلم، واللسان؛ إن بيع القلم، واللسان أقبح من بيع الجندي لسلاحه. عيون ١٨

٢٧_ ولكن الخذلان الذي لا غاية وراءه أن غَنِيًّا ينفق مئات الألوف على لذاته وشياطينه؛ فإذا سئل بذل القليل في مشروع جليل أعرض ونأى بجانبه. عيون ٢٧٨

٢٨ـ أوصيكم بتقوى الله؛ فهي العدة في الشدائد، والعون في الملمات، وهي مهبط الروح، والطمأنينة، وهي متنزل السكينة، وهي مبعث القوة واليقين، وهي معراج السمو إلى السماء، وهي التي تثبت الأقدام في المزالق، وتربط على القلوب في الفتن. عيون ٢٩١

٢٩ـ أي أبنائي[1] إن هذا القلب الذي أحمله يحمل من الشفقة عليكم والرحمة بكم، والاهتمام بشؤونكم ما تنبتُّ به الحبال، وتنوء بحمله الجبال، وهو يرثي لحالكم في الغربة، وإلحاح الأزمات، ويود ـبقطع وتينهـ لو أزيحت عللكم، ورقع بالسداد خللكم، ولكنكم جنود، ومتى طمع الجندي في رفهنية العيش؟ وأسود، ومتى عاش الأسد على التدليل، وهو يشعر أن التدليل تذليل؟ عيون ٢٩٢

٣٠ـ ثم احرصوا على أن يكون ما تلقونه لتلامذتكم من الأقوال منطبقاً على ما يرونه، ويشهدونه منكم من الأعمال؛ فإن الناشئ الصغير مرهفُ الحس، طُلَعَةٌ إلى مثل هذه الدقائق التي تغفلون عنها، ولا ينالها اهتمامكم.

وإنه قوي الإدراك للمعايب والكمالات؛ فإذا زينتم له الصدق فكونوا صادقين، وإذا حسنتم له الصبر فكونوا من الصابرين.

واعلموا أن كل نقشٍ تنقشونه في نفوس تلامذتكم من غير أن يكون منقوشاً في نفوسكم فهو زائل، وأن كل صبغ تنفضونه على أرواحهم من قبل أن يكون متغلغلاً في أرواحكم فهو ـلا محالةـ ناصل حائل، وأن كل سحر تنفثونه؛ لاستنزالهم غير الصدق فهو باطل.

١ـ يعني المعلمين التابعين لجمعية العلماء.

ألا إن رأس مال التلميذ هو ما يأخذه عنكم من الأخلاق الصالحة بالقدوة.

وأما ما يأخذ عنكم بالتلقين من العلم والمعرفة فهو ربح وفائدة. عيون ٢٩١

٣١_ أما إن السياسة تكون خيراً لأقوام، وشراً لآخرين، وتكون عقود حليةٍ كما تكون عقود خَنْقٍ_فهذا ما قرأناه في قاموس الاستعمار، وعلمناه من مذاهبه. عيون ٣٩

٣٢_ إن الطليق الذي لا يمد يده لإنقاذ الأسير_ وهو قادر على إنقاذه _ يوسم بواحدة من اثنتين: إما أنه راضٍ مغتبطٌ، وإما أنه شامتٌ متشفٍّ. عيون ١٢٣

٣٣_ إن ضعف الضعيف لا يكون في سنة الله إلا زيادة في قوة القوي، وإن اختلافكم لا يكون إلا زيادة في قوة خصومكم، وخصوم قضيتكم. عيون ٣٣٢

الخامس عشر : نقولات مختارة من كتاب:

مواعظ الإمام عمر بن عبدالعزيز ٦١ _ ١٠١ هـ للشيخ صالح الشامي

«**نبذة عن عمر بن عبدالعزيز**» :

هو أمير المؤمنين الإمام، العادل، العالم، الفقيه، الخائف، الخاشع عمر بن عبد العزيز بن مروان الأموي.

قال عبيد الله بن عبد الله : كانت العلماء عند عمر بن عبد العزيز تلامذة.

وقال مجاهد : أتينا عمر نعلمه فما برحنا حتى تعلمنا منه.

وقال ميمون بن مهران : كان عمر يعلم العلماء.

وقال أحمد بن حنبل : إذا رأيت الرجل يحب عمر بن عبد العزيز فاعلم أن وراء ذلك خيراً.

والحديث عن عمر بن عبد العزيز يطول، وهناك كتب كثيرة في سيرته.

«**من مواعظ الإمام عمر بن عبد العزيز**» :

١ـ لا تصحبْ مِنَ الأصحاب مَنْ خَطَرُك عنده على قدر قضاء حاجته، فإذا انقضت حاجته انقطعت أسباب مودته، واصحب من الأصحاب ذا العلا في الخير، والإفادة في الحق.

٢ـ صلى عمر الجمعة، وعليه قميص مرقوع الجيب، فلما انتهى من الصلاة قال له رجل : يا أمير المؤمنين : إن الله أعطاك، فلو لبست؛ فنكس عمر رأسه ملياً، ثم رفع رأسه، وقال : أفضل القصد عند الجدة، وأفضل العفو عند المقدرة.

٣ـ كتب إلى بعض أهله : أما بعد فإنك إذا استشعرت ذكر الموت ليلك أو

نهارك بغَّض إليك كل فانٍ، وحبب إليك كل باقٍ.

٤ـ وقال لعنبسة بن سعيد بن العاص: أبا خالد! أكثر من ذكر الموت؛ فإن كنت في ضيق من العيش وسَّعه عليك، وإن في كنت في سعة من العيش ضيقه عليك.

٥ـ أصلحوا آخرتكم تصلحْ لكم دنياكم، وأصلحوا سرائركم تصلح لكم علانيتكم، والله إن عبداً ليس بينه وبين آدم أبٌ حيٌّ لمغرقٌ في الموت.

٦ـ قال مسلمة: دخلت على عمر بعد الفجر في بيت كان يخلو فيه بعد الفجر؛ فلا يدخل عليه أحد، فجاءت جارية بطبق عليه تمر صبحاني، وكان يعجبه التمر، فرفع بكفه منه، فقال: يا مسلمة! أترى لو أن رجلاً أكل هذا ثم شرب عليه الماء فإن الماء على التمر طيب ـ أكان يجزيه إلى الليل؟

قلت: لا أدري، فرفع أكثر منه، قال: فهذا؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين كان كافيه دون هذا حتى ما يبالي أن لا يذوق طعاماً غيره.

قال: فعلام ندخل النار؟

قال مسلمة: فما وقعت مني موعظة ما وقعت هذه.

٧ـ أوصى عمر رجلاً فقال: أوصيك بتقوى الله الذي لا يقبل غيرها، ولا يرحم إلا أهلها، ولا يثيب إلا عليها؛ فإن الواعظين بها كثير، والعاملين بها قليل.

٨ـ وقال لرجل: أوصيك بتقوى الله تخف عليك المؤونة، وتحسن لك من الله المعونة.

٩ـ عليك بالذي يبقى لك عند الله؛ فإن ما بقي عند الله بقي عند الناس، وما

لم يبق عند الله لم يبق عند الناس.

١٠ـ قال ميمون بن مهران: ولاني عمر بن عبد العزيز عمالة، ثم قال لي: إذا جاء الكتاب مني على غير الحق فاضرب به الأرض.

١١ـ قال عمر بن مهاجر: قال لي عمر: إذا رأيتني قد ملت عن الحق فضع يدك في تلبابي، ثم هزني، ثم قل: يا عمر! ما تصنع؟.

١٢ـ أيها الناس! إنما يراد الطبيب للوجع الشديد، ألا فلا وجع أشد من الجهل، ولا داء أخبث من الذنوب، ولا خوف أخوف من الموت.

١٣ـ قال رباح بن عبيدة: كنت قاعداً عند عمر، فذكر الحجاج، فشتمته، ووقعت فيه، فقال عمر: مهلاً يا رباح؛ إنه بلغني أن الرجل لَيَظْلِمُ بالمظلمة، فلا يزال المظلوم يشتم الظالم، وينتقصه، حتى يستوفي حقه، فيكون للظالم الفضل.

١٤ـ لا ينفع القلب إلا ما خرج من القلب.

١٥ـ قد أفلح من عصم من المراء، والغضب، والطمع.

١٦ـ لقد بورك لعبد في حاجة أكثر فيها سؤال ربه، أُعطي، أو منع.

١٧ـ ما حسدت الحجاج على شيء حسدي إياه على حبِّه القرآن، وإعطائه أهله، وقوله حين حضرته الوفاة: اللهم اغفر لي؛ فإن الناس يزعمون أنك لا تفعل.

١٨ـ قيل لعمر: ما بدءُ إنابتك؟ قال: أردت ضرب غلام لي، فقال: يا عمر! اذكر ليلةً صبيحتُها يومُ القيامة.

١٩ـ من جعل دينه عرضة للخصومات أكثر التنقل.

٢٠ـ دخل رجل على عمر يعوده في مرضه، فسأله عن علته، فلما أخبره قال

الرجل: من هذه العلة مات فلان، ومات فلان، فقال عمر: إذا عدت المرضى فلا تَنْعَ إليهم الموتى، وإذا خرجت عنا فلا تعد إلينا.

٢١ـ ما أنعم الله على عبد نعمةً، فانتزعها منه، فعاضه من ذلك الصبر إلا كان ما عاضه الله أفضل مما انتزع منه، ثم قرأ ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾.

٢٢ـ كتب إلى بعض عماله: اجتنبوا الأشغال عند حضرة الصلاة؛ فمن أضاعها فهو لما سواها من شعائر الإسلام أشد تضييعاً.

٢٣ـ إن ابتلاك الله ـعز وجلـ بفقر فتعفف في فقرك، وأخبت لقضاء ربك، واغتفر بما قسم لك من الإسلام ما زوى عنك من نعمة دنيا؛ فإن في الإسلام خلفاً من الذهب، والفضة، والدنيا الفانية.

السادس عشر : نقولات مختارة من كتاب:

مواعظ الإمام مالك بن دينار ت: ١٣٠هـ للشيخ صالح الشامي

«نبذة عن مالك بن دينار» :

ولد مالك بن دينار أيام ابن عباس ، وأسند عن أنس بن مالك عدة أحاديث وروى عن جلة من الصحابة ، وكان من أعيان كتبة المصاحف ، ومن تلامذة الحسن البصري ، وكان له قدرة صبر على التقلل ، وكان مسكنه خالياً ليس فيه متاع ، ولهذا فهو لا يحتاج إلى قفل ولا مفتاح.

قال الذهبي : مالك بن دينار ، علم من العلماء الأبرار ، معدود من ثقات التابعين.

«من مواعظ مالك بن دينار رحمه الله » :

١ـ خرج أهل الدنيا ولم يذوقوا أطيب ما فيها ، قالوا : وما هو يا أبا يحيى؟ قال : معرفة الله.

٢ـ ما تنعم المتنعمون بمثل ذكر الله ـ عز وجل ـ.

٣ـ إن الصديقين إذا قرىء عليهم القرآن طربت قلوبهم إلى الآخرة.

٤ـ ما من أعمال البر شيء إلا دونه عقبه؛ فإن صبر صاحبها أفضت به إلى رَوْح ، وإن جزع رجع.

٥ـ كم من رجل يحب أن يلقى أخاه ويزوره فيمنعه من ذلك الشغل ، والأمر يعرض له ، عسى الله أن يجمع بينهما في دار لا فرقة فيها.

ثم قال : وأنا أسأل الله أن يجمع بيننا وبينكم في ظل طوبى ومستراح العابدين.

٦ـ قيل له: ادع لنا ربك، قال: إنكم تستبطئون المطر، وأنا أستبطأ الحجارة.

٧ـ إن لله ـ تعالى ـ عقوبات في القلب، والأبدان: ضنكاً في المعيشة، ووهناً في العبادة، ومسخطة في الرزق.

٨ـ سمع مالك رجلاً يقول: لو أعطاني الله ـ تعالى ـ بيتاً صغيراً لرضيت به.

فقال له مالك: ليتك يا ابن أخي زهدت في الدنيا كما زهدت في الجنة.

٩ـ الخوف من العمل ألا يتقبل أشد من العمل.

١٠ـ كفى بالمرء شراً ألا يكون صالحاً، ويقع في الصالحين.

١١ـ وجد في بعض الكتب: سبحوا الله ـ أيها الصديقون ـ بأصوات حزينة.

١٢ـ قال لقمان لابنه: يا بني اتخذ طاعة الله تجارة تأتك الأرباح من غير بضاعة.

١٣ـ ليس بحليم من نفذ غضبه في حمار، أو هرة.

١٤ـ أشد ما على السفيه الإعراض عن جوابه، وإظهار عدم التأثير له.

١٥ـ مثل الدنيا مثل الحية، مسُّها ليِّنٌ، وفي جوفها السم القاتل، يحذرها ذوو العقول، ويهوي إليها الصبيان.

١٦ـ قال موسى ـ عليه السلام ـ: يا رب أين أبغيك! قال: أبغني عند المنكسرة قلوبهم.

١٧ـ ما أشد فطام الكبير.

١٨ـ لو استطعت أن لا أنام لم أنم؛ مخافة أن ينزل العذاب وأنا نائم، ولو وجدت أعواناً لفرَّقْتُهم في سائر الدنيا كلها: يا أيها الناس! النارَ النارَ.

١٩ـ ما عاقب الله ـ تعالى ـ قلباً بأشد من أن يسلب منه الحياء.

٢٠ـ لم يبق لي من رَوْح الدنيا إلا ثلاثة: لقاء الإخوان، وتهجد بالقرآن، وبيتٌ خالٍ يُذْكَر الله فيه.

السابع عشر : نقولات مختارة من كتاب:

مواعظ الإمام سلمة بن دينار أبو حازم ت :١٤٠هـ

« نبذة عن أبي حازم رحمه الله » :

أبو حازم هو سلمة بن دينار ، الإمام القدوة ، الواعظ ، شيخ المدينة النبوية ، ولد أيام ابن الزبير وابن عمر ، وسمع من الصحابي سهل بن سعد ، وروى عنه ، وروى عن كثير من التابعين ، وثّقه أحمد ، وابن معين ، وأبو حاتم ، وقال ابن خزيمة : ثقة لم يكن في زمانه مثله.

مات في خلافة أبي جعفر سنة ١٤٠ ، وقيل ١٣٥ .

قال الذهبي : « وأحاديثه في الكتب الستة » .

وكانت مواعظه مؤثرة تأخذ طريقها إلى القلوب ، قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : ما رأيت أحد يفرفر [1] الدنيا فرفرة هذا الأعرج ، يعني أبا حازم.

وكان على درجة كبيرة من الفطنة ، والذكاء ، وله أقوال مأثورة تنطق بالحكمة ، ومن ذلك ما يلي :

١ـ أفضل خصلة ترجى للمؤمن أن يكون أشد الناس خوفاً على نفسه ، وأرجاه لكل مسلم.

٢ـ يسير الدنيا يشغل عن كثير الآخرة؛ فإنك تجد الرجل يشغل نفسه بهم غيره ، حتى لهو أشد اهتماماً من صاحب الهم بهم نفسه.

٣ـ عند تصحيح الضمائر تغفر الكبائر ، وإذا عزم العبد على ترك الآثام أَمَّه الفتوح.

١ـ أي ينال منها ، ويبين حقارتها وخطرها.

٤ـ ينبغي للمؤمن أن يكون أشد حفظاً للسانه منه لموضع قدميه.

٥ـ وقال مخاطباً نفسه: يا أعرج! ينادى يوم القيامة: يا أهل خطيئة كذا وكذا، فتقوم معهم، ثم ينادى:

يا أهل خطيئة كذا وكذا فتقوم معهم؛ فأراك يا أعرج تريد أن تقوم مع أهل كل خطيئة؟!

٦ـ كل نعمة لا تقرب من الله فهي بلية.

٧ـ ما مضى من الدنيا فحلم، وما بقي فأماني.

٨ـ من عرف الدنيا لم يفرح فيها برخاء، ولم يحزن على بلوى.

٩ـ انظر الذي تحب أن يكون معك في الآخرة فقدمه اليوم، وانظر الذي تكره أن يكون معك ثَمَّ فاتركه اليوم.

١٠ـ انظر كل عمل كرهت الموت من أجله فاتركه، ثم لا يضرك متى مت.

١١ـ لا يُحْسِنُ عبدٌ فيما بينه وبين الله ـ تعالى ـ إلا أحسن الله فيما بينه وبين العباد ولا يُعَوِّر[١] فيما بينه وبين الله ـ تعالى ـ إلا عَوَّر الله فيما بينه وبين العباد.

ولَمُصَانَعَةُ وجهٍ واحدٍ أيسرُ من مصانعة الوجوه كلها؛ إنك إذا صانعت الله مالت الوجوهُ كلُّها إليك، وإذا أفسدت ما بينك وبينه شنأتك[٢] الوجوه كلها.

١٢ـ قال عبد الرحمن بن أسلم: قلت لأبي حازم يوماً: إني لأجد شيئاً يحزنني، قال: وما هو يا بني؟ قلت: حُبِّيْ الدنيا، فقال لي: اعلم يا ابن أخي أني

١ـ يعور: يفسد.

٢ـ شنأتك: أبغضتك.

ما أعاتب نفسي على حب شيء حَبَّبه الله لي؛ لأن الله ـ عز وجل ـ حبب هذه الدنيا إلينا، ولكن لتكن معاتبتنا أنفسنا في غير هذا، ألا يدعونا حبها إلى أن نأخذ من شيء يكرهه الله، ولا أن نمنع شيئاً أحبه الله؛ فإذا نحن فعلنا ذلك لا يضرنا حبنا إياها.

١٣ـ وقيل لأبي حازم: ما مالك؟ قال: ثقتي بالله ـ تعالى ـ وإياسي مما في أيدي الناس.

١٤ـ ليس للملول صديق، ولا للحسود راحة، والنظر في العواقب تلقيح العقول.

١٥ـ السيئ الخلق أشقى الناس به نفسه التي بين جنبيه، هي منه في بلاء، ثم زوجته، ثم ولده، حتى إنه ليدخل بيته وإنهم لفي سرور، فيسمعون صوته فينفرون عنه؛ فرقاً منه، حتى إن دابته تحيد مما يرميها بالحجارة، وإن كلبه ليراه فينزوي على الجدار، حتى إن قطَّه ليفر منه.

١٦ـ ابن آدم: بعد الموت يأتيك الخبر.

١٧ـ اكتم حسناتك أشد مما تكتم سيئاتك.

١٨ـ وقال لجلسائه: لقد رضيت منكم أن يبقى أحدكم على دينه كما يبقى على نعليه.

١٩ـ يا بني لا تقتد بمن لا يخاف الله بظهر الغيب، ولا يعفُّ عن العيب، ولا يصلح عند الشيب.

٢٠ـ قاتل هواك أشد مما تقاتل عدوك.

٢١ـ وكتب أمير المؤمنين إلى أبي حازم: ارفع إلي حاجتك، قال: هيهات، رفعت حاجتي إلى من لا يختزن الحوائج؛ فما عطاني منها قنعت، وما أمسك عني منها رضيت.

٢٢ـ إن كان يغنيك ما يكفيك فأدنى عيشك يكفيك، وإن كان لا يغنيك ما يكفيك فليس في الدنيا شيء يغنيك.

٢٣ـ لَمَا يلقى الذي لا يتقي الله من تَقِيَّةِ الناس أشد مما يلقى الذي يتقي الله ـ عز وجل ـ من تقاته.

٢٤ـ قال عمر بن عبد العزيز لأبي حازم: عظني يا أبا حازم، قال: اضطجع، ثم اجعل الموت عند رأسك، ثم انظر ما تحب أن تكون فيه تلك الساعة، فخذ فيه الآن، وما تكره أن يكون تلك الساعة، فدعه الآن.

٢٥ـ وقال: أوحى الله ـ عز وجل ـ إلى الدنيا: من خدمك فأتعبيه، ومن خدمني فاخدميه.

٢٦ـ مر أبو حازم بسوق الفاكهة فقال: موعدك سوق الجنة.

٢٧ـ قال أبو معشر: رأيت أبا حازم يقص في المسجد، ويبكي، ويمسح بدموعه وجهه، فقلت: يا أبا حازم: لِمَ تفعل هذا؟

قال: بلغني أن النار لا تصيب موضعاً أصابته الدموع من خشية الله.

٢٨ـ وقال: إبليسُ، وما إبليس؟ لقد عصي فما ضر، ولقد أطيع فما نفع.

٢٩ـ مر أبو حازم بأبي جعفر المدني وهو مكتئب حزين، فقال: مالي أراك مكتئباً حزيناً؟ قال: ذكرت ولدي من بعدي، قال: فلا تفعل؛ فإن كانوا أولياء لله فلا تخف عليهم الضيعة، وإن كانوا لله أعداءاً فلا تبالِ ما لقوا بعدك.

الثامن عشر : نقولات مختارة من كتاب:

مواعظ الإمام سفيان الثوري ت: ١٦١هـ للشيخ صالح الشامي

«**نبذة عن سفيان الثوري**» :

سفيان الثوري هو الإمام، الثقة، الحافظ.

قال عنه شعبة، وابن عيينة، وأبو عاصم، ويحيى بن معين، وغيرهم: سفيان الثوري أمير المؤمنين في الحديث.

والأقوال في الثناء عليه يصعب حصرها، قال الإمام أحمد: أتدري من الإمام؛ الإمام سفيان الثوري، لا يتقدمه أحد في قلبي.

وقال: قال لي ابن عيينة: لن ترى عينك مثل سفيان الثوري حتى تموت.

وقال الذهبي: قد كان سفيان رأساً في الزهد، والتأله، والخوف، رأساً في الحفظ، رأساً في معرفة الآثار، رأساً في الفقه في الدين، لا يخاف في الله لومة لائم، من أئمة الدين.

«**من مواعظ سفيان الثوري**» :

١ـ أصلحْ سَرِيْرَتَك يصلح اللهُ علانيتَك، وأصلح فيما بينك وبين الله يصلحِ الله فيما بينك وبين الناس، واعمل لآخرتك يكفِك الله أمر دنياك، وبع دنياك بآخرتك تربَحْهما جَميعاً، ولا تبع آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعاً.

٢ـ اعمل للدنيا بقدر بقائك فيها، و للآخرة بقدر بقائك فيها.

٣ـ يأتي على الناس زمان تموت القلوب، وتحيى الأبدان.

٤ـ ما أحسن تذلل الأغنياء عند الفقراء، وما أقبح تذلل الفقراء عند الأغنياء.

٥ـ ما عالجت شيئاً أشد علي من نفسي؛ مرة عليَّ، ومرة لي.

٦ـ قال بشر بن الحارث: قيل لسفيان: أيكون الرجل زاهداً، ويكون له مال؟ قال: نعم؛ إذا ابتلي صبر، وإذا أعطي شكر.

٧ـ احذر سخط الله في ثلاث: احذر أن تقصر فيما أمرك، احذر أن يراك وأنت لا ترضى بما قسم لك، وأن تطلب شيئاً من الدنيا فلا تجده أن تسخط على ربك.

٨ ـ لو أن اليقين استقر في القلب كما ينبغي لطار فرحاً، وحزناً، وشوقاً إلى الجنة، أو خوفاً من النار.

٩ـ ثلاثة من الصبر: لا تحدث بمصيبتك، ولا بوجعك، ولا تُزَكِّ نفسك.

١٠ـ إذا زارك أخوك فلا تقل له: أتأكل؟ أو أقدم إليك؟ ولكن قدِّم، فإن أكل وإلا فارفع.

١١ـ إذا عرفت نفسك فلا يضرك ما قيل فيك.

١٢ـ لا تتكلم بلسانك، ما تكسر به أسنانك.

١٣ـ إني لأريد شرب الماء، فيسبقني الرجل إلى الشربة، فيسقينيها، فكأنما دق ضلعاً من أضلاعي، لا أقدر على مكافئته.

١٤ـ عليك بالمراقبة ممن لا تخفى عليه خافية، وعليك بالرجاء ممن يملك الوفاء، وعليك بالحذر ممن يملك العقوبة.

١٥ـ إلهي؛ البهائم يزجرها الراعي فتنزجر عن هواها، وأراني لا يزجرني كتابك عما أهواه؛ فيا سوأتاه.

١٦ـ ما أعطي رجل من الدنيا شيئاً إلا قيل له: خذه، ومثله حزناً.

١٧ـ لو أن البهائم تعقل ما تعقلون من الموت ـ ما أكلتم منها سميناً.

١٨ـ إنما مثلُ الدنيا مثلُ رغيفٍ عليه عسلٌ مرَّ به ذبابٌ، فقطع جناحيه، وإذا مر برغيف يابس مرَّ به سليماً.

١٩ـ لم أَنْهَكُمْ عن الأكل، ولكن انظر من أين تأكل؛ كيف أنهاكم عن الأكل، والله ـ تعالى ـ يقول: ﴿ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُوا وَاشْرَبُوا ﴾.

٢٠ـ لأن تلقى الله بسبعين ذنباً فيما بينك وبينه أهون عليك من أن تلقاه بذنب واحد فيما بينك وبين العباد.

٢١ـ إذا هممت بأمر من أمور الآخرة فشمر إليها وأسرع من قبل أن يحول بينها وبينك الشيطان.

٢٢ـ لا تبغض أحداً ممن يطيع الله، وكن رحيماً للعامة والخاصة، ولا تقطع رحمك وإن قطعك، وتجاوز عمن ظلمك تكن رفيق الأنبياء والشهداء.

٢٣ـ عليك بقلة الأكل تملك سهر الليل، وعليك بالصوم؛ فإنه يسد عليك باب الفجور، ويفتح عليك باب العبادة، وعليك بقلة الكلام يلين قلبك، وعليك بالصمت تملك الورع.

٢٤ـ لا تكن طعاناً تنجُ من ألسنة الناس، وكن رحيماً محبباً إلى الناس.

٢٥ـ عليك بالسخاء تستر العورات، ويخفِّف الله عليك الحساب والأهوال.

٢٦ـ عليك بكثرة المعروف يؤنسك الله بقبرك، واجتنب المحارم تجدْ حلاوة الإيمان.

٢٧ـ ارض بما قسم الله تكن غنياً، وتوكل على الله تكن قوياً.

التاسع عشر : نقولات مختارة من كتاب:

مواعظ الإمام إبراهيم بن أدهم ت :١٦٢هـ للشيخ صالح الشامي

«**نبذة عن إبراهيم بن أدهم** رَحِمَهُ اللَّهُ » :

هو إبراهيم بن أدهم بن يزيد التميمي ، ويقال له العجلي ، أصله من بلخ ، ثم سكن الشام ، ودخل دمشق.

كان من الأشراف ، وكان أبوه كثير المال ، والخدم ، ومع ذلك آثر إبراهيم الآخرة ، وآثر العلم والزهد.

وقد روى الحديث عن الأعمش ، ومحمد بن زياد ، وأبي إسحاق السبيعي ، وحدث عنه خلق كثير منهم بقية ، والثوري.

وكان حريصاً على الكسب الحلال؛ ليسلم بذلك من مذلة السؤال.

كان أميناً في عمله ، ومما يذكر عنه أنه قد عمل في بستان ، فطلب منه صاحبه أن يحضر له عنباً ، فأحضر له عنباً حامضاً ، فقال له : من هذا تأكل ، قال : ما أكل من هذا ولا من غيره ، قال : لم؟ قال لأنك لم تأذن لي.

توفي سنة١٦٢ هـ ، وقال عنه الثوري : كان إبراهيم بن أدهم يشبه إبراهيم الخليل ، ولو كان في الصحابة لكان رجلاً فاضلاً.

وقال ابن كثير: إبراهيم أحد مشاهير العباد ، وأكابر الزهاد ، كانت له همة عالية في ذلك.

وقال مضاء بن عيسى : ما فاق إبراهيم بن أدهم أصحابه بصوم ، ولا صلاة ، ولكن بالصدق والسخاء.

«من مواعظ إبراهيم بن أدهم وأقواله» :

١ـ قد رضينا من أعمالنا بالمعاني، ومن التوبة بالتواني، ومن العيش الباقي بالعيش الفاني.

٢ـ ما ألهم الله عبداً الاستغفار وهو يريد أن يعذبه.

٣ـ من لم يواسِ الناس بماله وطعامه، وشرابه ـ فليواسهم ببسط الوجه، والخلق الحسن.

٤ـ لا تكونوا بكثرة أموالكم تتكبرون على فقرائكم، ولا تميلون إلى ضعفائكم، ولا تبسطون إلى مساكينكم.

٥ـ تريد تدعو؟ كل الحلال، وادع بما شئت.

٦ـ قال أبو عبد الله الملطي: كان عامة دعاء إبراهيم: اللهم انقلني من ذل معصيتك إلى عز طاعتك.

٧ـ الزهد في الرياسة أشد من الزهد في الذهب والفضة؛ لأنك تبذلهما في تحصيلها.

٨ـ وما هي إلا جوعةٌ قد سددتها وكل طعام بين جنبي واحد

٩ـ عجباً للرجل اللئيم!؛ يبخل بالدنيا على أصدقائه، ويسخو بالجنة لأعدائه.

١٠ـ شكى رجل إلى إبراهيم كثرة عياله، قال إبراهيم: ابعث إلي منهم من لا رِزْقُه على الله؛ فسكت الرجل.

١١ـ من علامة صدق المتحابين في الله ـ عز وجل ـ أن يبادر كل منهم إلى مصالحة صاحبه إذا أغضبه؛ فإنا لم نجد قط محبوباً إلى إخوانه وهو لا يواصلهم،

كما أنا لم نجد قط غضوباً مسروراً.

١٢ـ الهوى يردي ، وخوف الله يشفي.

١٣ـ اعلم أن ما يزيل عن قلبك هواك إذا خفت من أن تعلم أنه يراك.

١٤ـ إذا كنت بالليل نائماً ، وبالنهار سائماً ، وفي المعاصي دائماً؛ فكيف ترضي من هو بأمرك قائماً.

١٥ـ مالنا نشكو فقرنا إلى مثلنا ، ولا نسأل كشفه من ربنا.

١٦ـ نحن والله الملوك الأغنياء ، نحن الذين قد تعجلنا الراحة ، لا نبالي على أي حال أصبحنا ، وأمسينا إذا أطعنا الله ـ عز وجل ـ.

١٧ـ لا يقل مع الحق فريد ، ولا يقوى مع الباطل عديد.

١٨ـ الكلام يظهر حمق الأحمق ، وعقل العاقل.

١٩ـ من عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل ، ومن أطلق بصره طال أسفه ، ومن أطلق أمله ساء عمله ، ومن أطلق لسانه قتل نفسه.

العشرون : نقولات مختارة من كتاب :

مواعظ الإمام عبدالله بن المبارك ت : ١٨١هـ للشيخ صالح الشامي

«نبذة عن عبد الله بن المبارك رحمه الله» :

هو عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي مولاهم، وأمه خوارزمية، ولد سنة ١١٨ هـ في مدينة مرو ـ أشهر مدن خراسان ـ كان أبوه رجلاً صالحاً يعمل في بستان مولاه، وجاءه مولاه يوماً، وطلب منه رماناً حلواً، فأحضر له رماناً، فوجده حامضاً، فقال له : أطلب الحلو فتحضر الحامض؛ هات حلواً.

فذهب مبارك إلى شجرة أخرى، فلما كسره وجده حامضاً، فقال له بعد ذلك : أنت ما تعرف الحلو من الحامض؟ فقال : لا قال : وكيف ذلك؟ قال : لأني ما أكلت منه شيئاً حتى أعرفه، فقال : ولماذا؟ قال : لأنك ما أذنت لي بالأكل منه؛ فعجب من ذلك صاحب البستان، وتأكد بعد ذلك من صدقه.

وكان لمولاه بنتٌ خُطِبَتْ كثيراً، فقال له يا مبارك من ترى نزوج هذه البنت؟

فقال : أهل الجاهلية يزوجون للحسب، واليهود للمال، والنصارى للجمال، وهذه الأمة للدين.

فأعجبه عقله، ثم زوجه ابنته.

وهكذا جاء ابن المبارك من هذه الأسرة التي قامت على الورع، والتقوى.

نشأ ابن المبارك في مرو، وكان شديد الذكاء، قوي الحافظة، خرج في طلب العلم سنة١٤١هـ، وأكثر من الترحال، والتطواف في طلب العلم، وفي الغزو، والتجارة، فرحل إلى الحرمين، والشام، والعراق، والجزيرة، وخراسان، وحدث

بأماكن، وصنف التصانيف الكثيرة النافعة.

كان يعمل في التجارة، وكان رأس ماله نحو أربعمائة ألف يدور يتَّجر به في البلدان، فحيث اجتمع بعالم أحسن إليه، وكان يربو كسبه في كل سنة على مائة ألف ينفقها كلها في أهل العلم، والعبادة، والزهد، وربما أنفق من رأس ماله.

وكان الباعث له على العمل بالتجارة أمرين:

١ـ صيانة الوجه أن ينكسف بسواد المطالب، وذلة السؤال.

قال له الفضيل بن عياض: أنت تأمرنا بالزهد، والتقلل، والبلغة، ونراك تأتي بالبضائع كيف ذا؟

قال يا أبا علي! إنما أفعل ذلك؛ لأصون وجهي، وأكرم عرضي، وأستعين به على طاعة ربي.

٢ـ الإنفاق على العُبَّاد، والزهاد، وأهل العلم؛ فقد قال للفضيل: لولاك وأصحابك ما اتّجرت.

ولهذا كان كثير من العبَّاد لا يقبلون إلا عطاياه.

كان ابن المبارك كريماً، وأخباره أشهر من أن تذكر، وكان شجاعاً، مجاهداً، حافظاً، محدثاً، شاعراً، فقيهاً.

توفي سنة ١٨١هـ وله ثلاث وستون سنة.

قال العباس بن مصعب: جمع ابن المبارك الحديث، والفقه، والعربية، وأيام الناس، والشجاعة، والسخاء، والتجارة، والمحبة عند الفرق.

وقال يحيى بن آدم: كنت إذا طلبت دقيق المسائل، فلم أجده في كتب ابن المبارك أيست منه.

وقال سفيان الثوري: لو جهدت جهدي أن أكون في السنة ثلاثة أيام على ما عليه ابن المبارك ـ لم أقدر.

وقال ابن عيينة: نظرت في أمر الصحابة، وأمر عبد الله فما رأيت لهم عليه فضلاً إلا لصحبتهم النبي ﷺ وغزوهم معه.

وعن عبد الله بن سنان قال: قدم ابن المبارك مكة، وأنا فيها، فلما خرج شيعه سفيان بن عيينة والفضيل، وودعاه، فقال أحدهما: هذا فقيه أهل المشرق، فقال الآخر: وفقيه أهل المغرب.

ملحوظة: هذه الشهادات لابن المبارك من أفاضل السلف وأكابرهم تدل على نفوس طاهرة زكية؛ إذ إن بعضهم يشهد لبعض دونما تحرج أو حسد؛ فما النتيجة إذاً؟

لقد رفعهم الله جميعاً، ونحن إذ نسمع مثل هذه الشهادات نهتز لها طرباً، وربما كان إعجابنا بالشاهد أعظم من إعجابنا من المشهود له.

من أخبار ابن المبارك: أنه خرج مرة إلى الحج، فمر ببعض البلاد، فمات طائر معهم، فأمر بإلقائه على مزبلة هناك، وسار أصحابه، وتخلف وراءهم، فلما مر بالمزبلة إذا جارية قد خرجت من دار قريبة منها فأخذت ذلك الطائر الميت، ثم لَفَّتْهُ، ثم أسرعت به إلى الدار، فجاء ابن المبارك، فسألها عن أمرها، وأخذها الميتة.

فقالت: أنا وأخي هنا ليس لنا شيء إلا هذا الإزار وليس لنا قوت إلا ما يلقى على هذه المزبلة، وقد حلَّتْ لنا الميتةُ منذ أيام، وكان أبونا له مال، فظُلم، وأخذ

ماله، وقتل، فأمر ابن المبارك برد الأحمال، وقال لوكيله: كم معك من النفقة؟ قال: ألف دينار، فقال: عد منها عشرين ديناراً تكفينا إلى مرو، وأعطها الباقي؛ فهذا أفضل من حجنا هذا العام ثم رجع.

«**من مواعظ ابن المبارك**»:

١ـ أكثركم علماً ينبغي أن يكون أشدكم خوفاً.

٢ـ كيف يدَّعي رجل أنه أكثر علماً، وهو أقل خوفاً، وزهداً؟.

٣ـ ما أعياني شيء كما أعياني أني لا أجد أخاً في الله ـ عز وجل ـ.

٤ـ لا يقع موقع الكسب على العيال شيء، ولا الجهاد في سبيل الله.

٥ـ ما بقي في زماننا أحدٌ أعرف أنه أخذ النصيحة بانشراح قلب.

٦ـ قال رجل لعبد الله: أوصني، قال: اترك فضول النظر توفق للخشوع، واترك فضول الكلام توفق للحكمة، واترك فضول الطعام توفق للعبادة، واترك النظر في عيوب الناس توفق للاطلاع على عيب نفسك.

٧ـ قال رجل لعبد الله: إني لأرى نفسي أحسن حالاً ممن قتل نفساً ظلماً. فقال له: إن أَمْنَك على نفسك لشر ممن قتل نفساً ظلماً.

٨ـ رب عمل صغير تعظمه النية، ورب عمل كبير تصغره النية.

٩ـ لو أن رجلين اصطحبا في الطريق، فأراد أحدهما أن يصلي ركعتين، فتركهما؛ لأجل صاحبه ـ كان ذلك رياءاً، وإن صلاهما لأجله فهو شرك.

١٠ـ سئل ابن المبارك عن قول لقمان لابنه: إن كان الكلام من فضة فإن الصمت من ذهب فقال: معناه لو كان الكلام بطاعة الله من فضة فإن الصمت عن معصيته من ذهب.

١١ـ إن الرحمة تنزل عند ذكر الصالحين.

١٢ـ قال رجل لابن المبارك: هل بقي من ينصح؟ قال: فهل تعرف من يقبل؟

١٣ـ قال رجل لابن المبارك: أوصني، قال: اعرف قدرك.

١٤ـ كاد الأدب يكون ثلثي الدين.

١٥ـ قال حبيب الجلاب: سألت ابن المبارك: ما خير ما أعطي الإنسان؟ قال: غريزة عقل، قلت: فإن لم يكن؟ قال: حسن أدب، قلت: فإن لم يكن؟ قال: أخ شفيق يستشيره، قلت: فإن لم يكن؟ قال: صمت طويل، قلت: فإن لم يكن؟ قال: موت عاجل.

١٦ـ إن البصراء لا يأمنون من أربع: ذنب قد مضى لا يدرى ما يصنع فيه الرب ـ عز وجل ـ وعمر قد بقي لا يدرى ما فيه من الهلكة، وفضل قد أعطي العبد لعله مكر واستدراج، وضلالة يراها هدى، وزيغ قلب ساعة؛ فقد يسلب المرء دينه ولا يشعر.

١٧ـ رأس التواضع أن تضع نفسك عند من دونك في نعمة الدنيا؛ حتى تعلمه أنه ليس لك بدنياك عليه فضل، وأن ترفع نفسك عمن هو فوقك في الدنيا؛ حتى تعلمه أنه ليس له بدنياه فضل عليك.

١٩ـ اغتاب رجل في مجلس عبد الله شخصاً، فقال: إذا أردتم أن تغتابوا فاغتابوا أبويكم؛ لئلا يرد أجر عملكم على الأجنبي، بل إليهما.

وقال: لو كنت مغتاباً لاغتبت والديَّ؛ لأنهما أحق بحسناتي.

الحادي والعشرون : نقولات مختارة من كتاب:

مواعظ الإمام الفضيل بن عياض ت: ١٨٧ للشيخ صالح الشامي

«**تعريف بالفضيل بن عياض** رحمه الله» :

الفضيل بن عياض التميمي ولد بسمرقند، ونشأ بخراسان، وتذهب بعض الروايات أنه كان يقطع الطريق ثم هداه الله بسبب سماعه آية من كتاب الله.

جاء في سير أعلام النبلاء، عن الفضل بن موسى، قال: كان الفضيل بن عياض شاطراً ـ يقطع الطريق ـ بين أبيورد، وسرخس، وكان سبب توبته أنه عشق جارية، وبينما هو يتسلق الجدران إليها إذ سمع تالياً يتلو ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ فلما سمعها قال: بلى يا ربي قد آن، فأواه الليل إلى خربة، فإذا فيها سابلة ـ عابرُ طريق ـ فقال بعضهم: نرحل، وقال بعضهم: حتى نصبح؛ إن فضيلاً يقطع الطريق علينا.

قال: ففكرت وقلت: أنا أسعى بالليل في المعاصي، وقوم من المسلمين هاهنا يخافونني، أرى الله ساقني إليهم؛ لأرتدع، اللهم إني قد تبت إليك، وجعلت توبتي مجاورة البيت الحرام.

كان الفضيل إماماً في الزهد والورع، قال إبراهيم بن الأشعث: ما رأيت أحداً كان الله في صدره أعظم من الفضيل، كان إذا ذكر الله، أو ذكر عنده، أو سمع القرآن ظهر به من الخوف والحزن، وفاضت عيناه، وبكى حتى يرحمه من بحضرته.

وقال: كنا إذا خرجنا مع الفضيل في جنازة لا يزال يعظ، ويذكِّر، ويبكي، حتى لكأنه يودع أصحابه ذاهب إلى الآخرة حتى يبلغ المقابر، فيجلس، فكأنه بين الموتى.

وقال سفيان بن عيينة: ما رأيت أحداً أخوف من الفضيل وابنه علي.

وقال إسحاق بن إبراهيم: ما رأيت أحداً أخوف على نفسه، ولا أرجى للناس من الفضيل.

كان صحيح الحديث، صدوق اللسان، وقال ابن المبارك: ما بقي على ظهر الأرض عندي أفضل من الفضيل.

وقال الذهبي: الإمام، القدوة، الثبت، شيخ الإسلام أبو علي.

وعده ابن تيميه من أئمة السلف، ومن أكابر المشايخ.

ومن الأقوال العظيمة المأثورة عن الفضيل ما يلي:

١ ـ قال في قوله ـ تعالى ـ: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾.

قال: أخلصه، وأصوبه، قيل: يا أبا علي! ما أخلصه، وأصوبه؟ فقال: إن العمل إذا كان خالصاً، ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً، ولم يكن خالصاً لم يقبل، حتى يكون خالصاً صواباً، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة.

٢ ـ إذا ظهرت الغيبة ارتفعت الأخوة في الله.

٣ ـ حيث ما كنت فكن ذَنَباً، ولا تكن رأساً؛ فإن الرأس تهلك، والذنب ينجو.

٤ ـ كامل المروءة من بر والديه، وأصلح ماله، وأنفق من ماله، وحسن خلقه، وأكرم إخوانه، ولزم بيته.

٥ ـ ما أجد لذة، ولا راحة، ولا قرة عين إلا حين أخلو في بيتي.

٦ ـ صبر قليل، ونعيم طويل، وعجلة قليلة، وندامة طويلة.

٧_ كفى بالله محباً ، وبالقرآن مؤنساً ، وبالموت واعظاً ، وكفى بخشية الله علماً ، وبالاغترار به جهلاً.

٨_ لا تستوحش طريق الهدى؛ لقلة أهله ، ولا تغتر بكثرة الناس.

٩_ إذا أتاك رجلاً يشكو رجلاً ، فقل: يا أخي اعف عنه؛ إن العفو أقرب للتقوى ، فإن قال: لا يحتمل قلبي العفو ، ولكن أنتصر كما أمرني الله _ عز وجل _ فقل: فإن كنت تحسن تنتصر بمثل ، وإلا فارجع إلى باب العفو؛ فإنه باب واسع؛ فإنه من عفى وأصلح فأجره على الله؛ فصاحب العفو ينام الليل على فراشه ، وصاحب الانتصار يقلب الأمور.

١٠_ خصلتان تقسيان القلب: كثرة النوم ، وكثرة الأكل.

١١_ المؤمن يزرع نخلاً ، ويخاف أن يثمر شوكاً ، والمنافق يزرع شوكاً ، ويطلب أن يثمر رطباً.

١٢_ نعمت الهدية الكلمة الطيبة من الحكمة يحفظها الرجل حتى يلقيها إلى أخيه.

١٣_ إنما تقاطع الناس بالتكلف ، يزور أحدهم أخاه ، فيتكلف له ، فيقطعه ذلك عنه.

١٤_ خوف العبد من الله على قدر معرفته به.

١٥_ من وقي خمساً وقي شر الدنيا و الآخرة: العجب ، والرياء ، والكبر ، والإزراء ، والشهوة.

١٦_ لأعلمنك كلمة هي خير لك من الدنيا وما فيها: والله لئن علم الله منك

إخراج الآدميين من قلبك حتى لا يكون في قلبك مكان لغيره _ لم تسأله شيئاً إلا أعطاك.

١٧_ ما أحب عبدٌ الرياسة إلا أحب ذكر الناس بالنقائص، والعيوب؛ ليتميز هو بالكمال، ويكره أن يذكر الناس أحداً عنده بخير.

ومن عشق الرياسة فقد تُودِّع من صلاحه.

١٨_ أهل الفضل هم أهل الفضل ما لم يروا فضلهم.

١٩_ لم يدرك عندنا من أدرك بكثرة صيام، ولا صلاة، وإنما أدرك بسخاء الأنفس، وسلامة الصدور، والنصح للأمة.

٢٠_ رب ضاحك، وأكفانه قد خرجت من عند القصار [١].

٢١_ من خاف الله لم يضره أحد، ومن خاف غير الله لم ينفعه أحد.

٢٢_ لم يتزين الناس بشيء أفضل من الصدق، وطلب الحلال.

٢٣_ بقدر ما يصغر الذنب عندك يعظم عند الله، وبقدر ما يعظم عندك يصغر عند الله.

٢٤_ عاملوا الله _ عز وجل _ بالصدق في السر؛ فإن الرفيع من رفعه الله، وإذا أحب الله عبداً أسكن محبته في قلوب العباد.

٢٥_ من المعروف أن ترى المنة لأخيك عليك إذا أخذ منك شيئاً؛ لأنه لولا أخذه منك ما حصل لك الثواب، وأيضاً فإنه خصك بالسؤال، ورجا فيك الخير دون غيرك.

١_ القصار: المغسل.

٢٦ـ من علامة المنافق أن يحب المدح بما ليس فيه، ويكره الذم بما فيه، ويبغض من يبصره بعيوبه، ويفرح إذا سمع بعيب أحد من أقرانه.

٢٧ـ إن الله ـ عز وجل ـ ليتعاهد عبده المؤمن بالبلاء كما يتعاهد الرجل أهله بالخير.

٢٨ـ المؤمن يغبط، ولا يحسد، والمنافق يحسد، ولا يغبط.

الثاني والعشرون : نقولات مختارة من كتاب:

طاقتك الكامنة لسمير شيخاني

١ـ لا تهدم شيئاً ما لم تكن مستعداً لبناء شيء أفضل منه. ص٢٦٢

٢ـ السبيل الوحيد لتجنب النقد هو ألا تفعل شيئاً، وألا تكون أحداً، عندها لا يفعل العالم شيئاً لإزعاجك. ص٢٦٤

٣ـ إذا كنت لا تتحمل النقد فلا يحق لك أن تقدمه إلى سواك. ص٢٦٥

٤ـ أخفق أديسون عشرة آلاف مرة قبل أن يصنع المصباح الكهربائي؛ لا تقلق إذا أنت أخفقت مرة. ص٢٧٠

٥ـ لا يعد المرء مخفقاً حتى يتقبل الهزيمة كأنما هي دائمة، ويتخلى عن المحاولة. ص٢٧١

٦ـ أخطاء الآخرين هي عذر ضعيف لخطئك. ص٢٧١

٧ـ الإخفاق ليس عاراً إذا كنت بذلت جهدك بإخلاص. ص٢٧١

٨ـ الأشخاص ذوو النية الصادقة قلما يخافون شيئاً. ص٢٧٢

٩ـ في كل مرة تؤثِّر على امرئ ما؛ لكي يقوم بعمل أفضل ـ فإنك تفيده، وتضاعف قيمتك الشخصية. ص٢٨١

١٠ـ لا تكتفِ بأن تكون ممتازاً في عمل، كن الأفضل، وسرعان ما تصبح شخصاً لا يستغنى عنه. ص٢٨١

١١ـ أنت دائماً على الرحب والسعة إذا ما حملت معك الابتسامة، وتركت الهموم في البيت. ص٢٩٢

١٢_ تذكر جيداً أنه ليس من الضرورة أن يخفق الآخرون لكي تنجح. ص٣٠٠

١٣_ يستحسن التفوق على الشخص الآخر عوضاً عن إضاعة الوقت في حسده. ص٣٠٠

١٤_ سلم الشهرة ليس مزدحماً عند قمته. ص٣٠٠

١٥_ إذا كنت تتوقع شيئاً مقابل لا شيء فإنه محكوم عليك بخيبة الأمل. ص٣٠٠

١٦_ لا تجادل مطلقاً في تفاصيل غير مهمة؛ لأنك إذا كسبت فإنك لن تكون كسبت أي مصلحة. ص٣٠٠

١٧_ عندما تغضب غضباً شديداً، ولا تدري ما العمل _ فالأفضل ألا تفعل شيئاً. ص٣٠٣

١٨_ لو أن الإنسان أفصح عن كل فكرة خطرت بباله _ لما بقي له أصدقاء. ص٣٠٣

١٩_ الإنسان السليم الخلق لا يقلق عموماً على سمعته. ص٣٠٧

٢٠_ اهتم جيداً بخلقك؛ فتهتم سمعتك بنفسها. ص٣٠٧

٢١_ الأوهام تتجه عموماً حيث يُرَحَّب بها. ص٣٠٨

الثالث والعشرون : نقولات مختارة من كتاب :

قوة الاعتزاز بالنفس ضمن سلسلة العمل

المؤلف : سامويل أ. سيبرت

«**تعريف بالكتاب**» :

هذا الكتاب من إصدار مكتبة جرير وترجمتها ويقع في ١١٣ صفحة ، ويدور حول تجارب إنسانية تقوي الثقة بالنفس ، وتبعث على مزيد من الجد ، وتحارب القصور والإخفاق وتعظيم شأن الخوف.

كما أنه يعين على أن يتعرف الإنسان على اكتشاف مواطن الضعف والقوة في نفسه ، وعلى العناصر التي تؤثر فيه.

كما أنه يعرفه على كيفية تحديد الأهداف وطريقة الوصول إليها ، فإلى مقولات الكتاب المختارة.

١ـ يتسم البارزون في عملهم بالثقة الشديدة ، وربما يدعي بعضهم أنهم يقومون بهذه السلوكيات الناجحة بشكل طبيعي؛ وذلك لثقتهم بأنفسهم.

ولا شيء أبعد عن الحقيقة من هذا الافتراض؛ إننا جميعاً نتسم بالضعف ، وقد نتأثر تأثراً بالغاً من فعل أو قول غير واعٍ أو بسيط ، وإن لم يكن مقصوداً ، كما أننا نكتسب الثقة بالنفس من أجل تحققه. ص١

٢ـ عندما نتعرض للهزيمة أو عند ما يجرحنا الآخرون فإننا نعلم جيداً أن هذه المشاعر مؤقتة ، وسرعان ما نتماثل للشفاء.

كما أننا نتعلم من التجارب ، ونتحسن عادة كلما خضنا تجارب أكثر. ص**٢**

٣ـ إذا انخفض تقديرنا لذاتنا إلى حدٍّ يجعلنا نشكك في قدراتنا على النجاح فلن نقدم أبداً على المحاولة. ص٢

٤ـ إذا اعتقدنا أننا سنخفق فسوف نخفق في أغلب الأحيان. ص٢

٥ـ يمكننا أن نستريح عندما نعرف أن كل إنسان تقريباً يمر بلحظات من الشك في النفس. ص٢

٦ـ يمكن أن نتعلم من حياة الآخرين الذين مروا بتجارب فاشلة كثيرة، ولكنهم تغلبوا عليها، ووصلوا إلى مناصب قيادية في التجارة والسياسة بل في كل المجالات الأخرى. ص٢

٧ـ لا يوجد اثنان متشابهان؛ لذلك يجب أن نتعلم من البداية أن نقيس أداءنا وفقاً لقدراتنا، لا وفقاً لقدرات زملائنا أو أقاربنا. ص٦

٨ـ يميل كل البشر إلى التأثر ذاتياً بتجارب الفشل، وغالباً ما يعطونها اهتماماً أكثر مما تستحقه؛ لأن أية تجربة فاشلة تترك في الذاكرة أثراً لا يمحى؛ فإننا نسمح لها بان تؤثر على حاضرنا ومستقبلنا أكثر مما ينبغي، بغض النظر عن حجم هذا الفشل؛ فإن أية هزيمة تعد مؤقتة إذا لم نجعلها دائمة. ص٧

٩ـ إذا تعلمنا من التجربة فقد قمنا بخطوة صغيرة نحو النجاح في المستقبل؛ حيث لن نكرر هذا الخطأ ثانية. ص٧

١٠ـ إذا نظرت بعمق إلى حياة الناجحين فسوف تكتشف أنها تمتلئ بتجارب الفشل المثيرة؛ سنجد ـ مثلاً ـ أبراهام لينكولن قد فشل كأمين مستودع، وكجندي وكمحامي.

ومع ذلك ساعدته كل هذه التجارب على نحو خاص في أن يقود الولايات المتحدة في أسوأ أزماتها وهي الحرب الأهلية.

لقد أصبح لينكولن واحداً من أعظم رؤساء أمريكا، وذلك لتعاطفه الشديد مع الآخرين؛ نتيجة الصعوبات التي واجهته في حياته. ص٧

١١_ لا يمكن أن تغير الماضي، ولكن يمكنك أن تغير الطريقة التي يؤثر بها عليك، يجب أن تترك الماضي خلف ظهرك. ص٨

١٢_ اعلم جيداً أننا لا نستطيع أن نتحكم في الآخرين، أو الطريقة التي يتعاملون بها معنا، ولكن نستطيع أن نتحكم في رد فعلنا تجاههم. ص٨

١٣_ لا يمكن لأحد أن يغضبك أو يضايقك، كما لا يمكن لأحد أن يشعرك بعدم الأهمية أو الدونية إلا إذا سمحت له بذلك، وساعدته عليه. ص٨

١٤_ يستحيل ببساطة أن يؤثر أي إنسان على أي من آرائك أو مشاعرك، أو عواطفك ما لم تسمح له بذلك. ص٨

١٥_ خذ على نفسك عهداً بأنك لن تسمح لأحد بعد الآن أن يتحكم في حياتك أو رد فعلك تجاهه، أو تجاه الأحداث التي يفتعلها، أمسك بزمام الأمور. ص٨

١٦_ اعلم أنك وحدك تختار الطريقة التي تمارس بها حياتك، لا تتطلب هذه الأمور تغيراً جوهرياً في شخصيتك، وإنما تحتاج فقط إلى التزام تام بأن تلقي الماضي وراء ظهرك، وأن تنسى المرات التي عاملك فيها الآخرون بشكل سيئ أو آذوك، وأن تفكر في إمكانيات المستقبل لا في تجارب الماضي الفاشلة. ص٨

١٧_ ينبغي أن نحقق انتصارات صغيرة متوالية إلى أن يأتي يوم ندرك فيه أننا قد فزنا بالحرب. ص١٣

١٨_ لقد مر كل فرد منا بتجارب ناجحة و أخرى فاشلة؛ فأحياناً نعتلي القمة، وأحياناً نجد الحياة مجرد شراك نقع فيها.

ولكننا نشعر بعدم الأمان، لاعتقادنا الخاطئ بأننا سبب كل المشكلات.

والأسوأ من ذلك أن كلاً منا يشعر بشكل ما بأنه الشخص الوحيد على وجه الأرض الذي مر بهذه التجارب الفاشلة، مع أننا نعلم جيداً أن هذا الاعتقاد سخيف. ص١٣_ ١٤

١٩_ إذا لم يكن لديك قيم ومبادئ واضحة محددة تعيش لأجلها _ فإنه من السهل أن تسيطر عليك آراء الآخرين الذين يستغلونك لتحقيق أهدافهم، تأكد من وقوفك على أرض صلبة. ص١٧

٢٠_ لا تغرق في الماضي بإحياء التجارب الفاشلة، أو تحاول أن تعود بذهنك إلى إنجازاتك السابقة، ولكن انظر ماذا تعمله الآن، وماذا تنوي تقديمه في المستقبل. ص١٧

٢١_ لا تبذِّر وقتك مع الذين يقللون من شأنك. ص١٧

٢٢_ نادراً ما يمنح الاحترام بلا مقابل؛ فلا بد أن يكون له ثمن. ص١٧

٢٣_ عندما يعلم الآخرون أنه لم يعد في استطاعتهم أن يقللوا من شأنك فسوف يتوقفون عن المحاولة. ص١٧

٢٤_ لن يهزمك أحد إلا إذا اعتقدت أنه يستطيع ذلك. ص٢٠

٢٥ـ التغيير يتطلب شجاعة وتصميماً ومثابرة. ص٢٥

٢٦ـ امتلك الشجاعة لتكون مختلفاً، ولكن لا تكن متناقضاً، أو متباهياً باستقلالك. ص٢٦

٢٧ـ الشجاعة التي تميزنا عن غيرنا أن نكون صادقين مع أنفسنا. ص٢٦

٢٨ـ خالط الأشخاص الإيجابيين. ص٢٦

٢٩ـ تعلم من التجارب. ص٢٧

٣٠ـ خصص وقتاً للتفكير. ص٢٧

٣١ـ تعلم أن تتعاطف مع الآخرين. ص٢٧

٣٢ـ كن كريماً في المجاملة الصادقة. ص٢٧

٣٣ـ عندما تنزعج من الآخرين أو المواقف التي لا تستطيع أن تسيطر عليها فابتعد عن هؤلاء الأفراد، وعن تلك المواقف لفترة قصيرة. ص٢٨

٣٤ـ فكِّر قبل أن تتحدث. ص٢٩

٣٥ـ لا تحبَّ ما أنت عليه، بل حبَّ ما يجب أن تكون عليه. ص٣١

٣٦ـ السعادة تحتاج حقاً إلى أن تتخلى عن أشياء معينة. ص٤٣

٣٧ـ لن يصبح أحدٌ عظيماً بتقليد غيره. ص٤٧

٣٨ـ ليس من المعقول أن تتخذ قرارات سريعةً في قضايا هامة فعلاً. ص٥٣

٣٩ـ كن قائداً، أو تابعاً، أو تنحَّ عن الطريق. ص٥٣

٤٠ـ خذ الوقت الكافي؛ لتصدر قرارات هامة، فنادراً ما تحتاج هذه القرارات إلى أن تُتَّخذ فوراً، نَمْ ودَعِ الليل يمر عليها، فسوف تكون أكثر موضوعية إذا

انتظرت أربعاً وعشرين ساعة. ص٥٤

٤١_ تذكر أن لكل قرار نتائجه، إذا حدَّدت هذا النتائج فسوف يساعدك ذلك على اتخاذ قرار صائب. ص٥٤

٤٢_ اعلم جيداً أن القراراتِ نادراً ما تكون نهائية، إذا أخطأت فعادة ما يمكنك الرجوع فيه، وتصحيح الأخطاء. ص٥٥

٤٣_ إذا كنت متحمساً لفكرة، أو فرصة جديدة فلا تتوقع من الآخرين نفس الشيء بالضرورة، وربما يحقدون عليك، أو ربما لا يعنيهم الموضوع بأي حال من الأحوال. ص٥٥

٤٤_ إن هؤلاء الذين يحققون نجاحاً كبيراً في الحياة هم الذين يعطون أكثر مما يتوقع منهم. ص٥٥

٤٥_ إن الرجل الشجاع يمثل أغلبية في حد ذاته. ص٥٥

٤٦_ الشدائد تزيدك قوة. ص٥٨

٤٧_ تنطوي كل المحن على احتمالات لتحقيق فوائد مساوية لها أو أكبر. ص٥٨

٤٨_ لا تدوم الهزيمة إلى الأبد إلا إذا سمحت لها بذلك. ص٦١

٤٩_ أصعب جزء في أي وظيفة هو البداية. ص٦٢

٥٠_ تزداد قوتنا كلما واجهنا مشكلات، فكما تُقَوِّي الرياضةُ العضلات فإن التغلب على العقبات يعلمنا الإصرار، والعمل بجد واجتهاد، والنجاح في النهاية. ص٦٢

٥١_ تحديد الهدف يساعدك في تركيزك على طاقاتك وأفكارك على ما تريد أن تحققه. ص٧٢

٥٢_ إذا كان لديك هدف محدد وتمتلك الإصرار والقدرة على تحقيقه _ فلن يطول تأخرك. ص٧٢

٥٣_ إن العوائق ما هي إلا مصادر إزعاج مؤقتة لا بد أن تتغلب عليها؛ لكي تصوب مسارك. ص٧٢

٥٤_ العقبات هي تلك الأشياء المرعبة التي تبعد عينك عن المهمة. ص٧٩

٥٥_ معظم الناس لا يهتمون بما لديك من معرفة إلا أن يعرفوا قدر ما لديك من اهتمام بهم. ص٨٩

٥٦_ إن أصعب سرٍّ يحتفظ به الإنسان هو رأيه الخاص في نفسه. ص١٠٠

٥٧_ من الأشياء العجيبة في هذه الحياة أنك إذا لم تقبل أي شيء سوى الأفضل فإنك ستحصل عليه في كثير من الأحيان. ص١٠١

٥٨_ من مقتضيات الحكمة أن تعرف ما يجب أن تتغاضى عنه. ص١٠٦

٥٩_ إذا اعتدت على ألا تفعل أيَّ شيء يضر الآخرين، وعلى أن تساعدهم بشكل عملي ومعقول _ فسوف تستفيد من هذه العادة أكثر من الآخرين. ص١٠٦

٦٠_ عندما تكون إنساناً رحيماً عطوفاً ومراعياً لشعور الآخرين فسوف تحترم نفسك بشكل أفضل، وتصبح أكثر ثقة، كما يزداد تقديرك لذاتك. ص١٠٦

المحتويات